عناصر الأصالة والإبداع

فى النقد العربى

د . عبد الله حسين على سليمان

الأستاذ المساعد فى قسم الأدب والنقد

بكلية الدراسات الاسلامية والعربية

بالاسكندرية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسـول الله المبعوث رحمة للعالمين بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ....

أما بعـد ...

فمن الحقائق المقررة أن تراثنا الأدبى والنقدى حافل بالبحـوث القيمة والدراسات الخصبة والكنوز الخالدة التى تمنح الكثير وتعطى الجزيل ... ومايزال هـذا التراث منبعـا فياضا ينهل منـه الباحثون ويقبلون على ورده ويستقون من معينـه فتزدهر بدراساتهم المكتبـة العربية الحافلة بألوان النشاط الأدبى والنقدى ممـا يؤكد حقيقة جليلة هى أن هذا التراث الأدبى والنقدى تراث خـالد بما يتضمنه من قيم وما يحتويه من مضمون وما يدعمه من أصالة وتجديد وما يشتمل عليه من مذاهب واتجاهات .

واننى لأعلنها صريحة مدوية وبالاصرار كله أن أروع ما وصل اليه النقـد الحديث من نظريات وأسس وأصول قيل عنها انهـا مستحدثة

مبتكرة هى فى الحقيقة قديمة معروفة فى تراثنا بوسمها ورسمها وجوهرها وليست بمستحدثة ولا مبتكرة .. ولست أقولها تحمسا أو ادعاء لكنها الحقيقة التى يدركها كل باحث أمين يتسم بالوعى والدراية والانصاف والتجرد .

هذه حقيقة أتقدم بها بين يدى هذا البحث الذى حاولت فيه أن أبرز عناصر الأصالة والابداع فى النقد العربى وأن أكشف عن جوهره العريق ومعدنه النفيس ووجهه العربى الأصيل وما ينبض به من قيم خالدة ونظريات شامخة وآراء صائبة .

وسيظل التاريخ يذكر أن أدبنا العربى ونقدنا الأدبى قد عاشا أزهى عصورهما فى فترة ممتدة من عصور بمشيئة الله الى أن يطوى الزمان والمكان ويبقى وجه ربك ذى الجلال والاكرام ... وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب » .

عبد الله حسين

النقـــد الأدبى العربى

أصـــوله وروافده

نشأ النقد الأدبى نشـــأة مبكرة وعاصر الأدب فى مراحله الأولى وتمشى معه وســـايره فى كل عصـــوره التاريخية ، وكان العـــرب منذ جاهليتهم الأولى يتمتعون بحظ كبير من الحيوية فى القول وفى العمـــل ولم يكن يعترض ســـبيل هذه الحرية رغبـــة فى خير أو رهبة من شر ، ولقد كان حرصهم بالغا على أن يوصفوا باللسن والفصاحة والبيان وأن يكون لهم من بلاغة القول ما يحقق لهم اصابة المحز وفصل الخطاب . « ومن المسلم به أن الشعر قد قطع أحقـــابا طويلة حتى وصـــل الى مرتبة النضج والاكتمال وكان الشعر فى كل خطـــوة من خطوات تطوره يعد عدته للخطوة المقبلة حتى يتهيأ له بلوغ الغاية التى يتطلع اليها»(١) .

والنقد الأدبى بوجه خاص يعتبر ضرورة من ضرورات تقدم الأدب والرقى به والوصـــول الى أرفـــع مســـتوى وتحقيق أقصى درجـــات الازدهار(٢) وأقدم صورة للنقد تتمثل فى نقد الأديب لما ينتجه فلا ينظم شاعر أو ينثر كاتب دون أن يتبع بعض القواعد والمبادىء التى يعتمـــد عليها فى بناء عملـــه الأدبى فهو فى خلقـــه الأدبى دائب على المراجعـــة والتهذيب والصقل وهو فى عمله هذا يبذل جهد الناقد(٣) .وبتتبع الآراء النقدية التى وصلتنا يمكن القـــول بأنها فى جملتها تعتمـــد على الذوق الفطرى والنظرة الخاصة وذلك الانطبـــاع العام عن الشعر والشعراء

---

(١) تاريخ النقد الأدبى لطه ابراهيم ص ١٤٧ .
(٢) أصول النقد الأدبى للشايب ص ٦٤٠ .
(٣) المدخل الى النقد الأدبى لمحمد غنيمى هلال ص ٩ .

ولم تكن هذه الآراء تخرج عن الاستحسان أو الاستهجان ، لقد كانت تلك النظرات النقدية تتسم بالذاتية الصادرة من حس الناقد وشعوره تجاه النص الشعرى .

ونستطيع أن نقرر أن الأسس الأولى والمبادىء العامة للنقد الأدبى قد أخذت فى التميز والوضوح فى صدر الاسلام بعد أن لم تكن هنالك أسس واضحة أو معالم ثابتة ، وليس معنى ذلك أن تلك الأسس النقدية قد استوعبت كل جهات الفن الأدبى فقد ظهر أن تلك الأصول كانت تقتصر على بعض ما يجب أن يراعى فى الألفاظ باستعمال المتداول المألوف ونفى كل ما ينم عن التكلف فى الصياغة(٤) .

وفى عصر بنى أمية وضعت الأسس الأولى للعلوم التى أصبح لكل علم منها قواعد ومصطلحات تمت بعد ذلك وازدهرت فى عصر بنى العباس وكانت هذه الأسس بمثابة النواة فى علوم العربية كما كانت — تبعا لذلك — أساسا من أسس النقد الأدبى .

ولم تكن الآراء النقدية فى هذا العصر تستوعب كل الجوانب وانما كانت ترتكز غالبا على جانب المعنى وقد تتناول شيئا من نقد الخيال ، ولم يكن هناك نقد فى الألفاظ والأساليب والصياغة الا فى القليل ، كما يلاحظ أن بعض الأحكام التى كانت تصدر فى المجالس الأدبية كانت مطبوعة بطابع العجلة والارتجال بالعبارات الموجزة والكلمات المقتضبة، وكثير من تلك الآراء النقدية لم يصدر عن البحث العميق والدراسة المستوعبة .

---

(٤) دراسات فى نقد الأدب العربى لطبانة ص ٨١ ، ٨٢ .

ويقرر الدكتور مندور أن هذا النقد الذوقى يعيبه أمران : عدم وجود منهج وعدم التعليل المفصل ، وهذان العيبان واضحان فى الكثير من الأحكام التقليدية المروية فى كتب الأدب فهى لا تستند الى تحليل للنصوص أو الى نظر شامل فيما قال هذا الشاعر أو ذاك(٥) .

ومع ذلك فقد كان عصر بنى أمية حافلا بالنشاط الأدبى فياضا بالآثار الزاخرة وكان للخلفاء عناية بالغة بالأدب وكانت مجالسهم عامرة بالشعراء وكبار الكتاب والبلغاء وندواتهم تموج برواداها من الفحول والأعلام ، كما كانت الحواضر تزهى بآثارها فى مجال العلم والأدب فى يثرب ومكة والبصرة والكوفة ودمشق وكانت المنافسة على أشدها بين هذه الحواضر والخصومات مشبوبة والعصبية ثائرة فقامت للشعر دولته وتحققت له حريته ونصبت له موازين احتشد لها الذهن وأرهف فيها الذوق وتنبهت السليقة وكثرت الملاحظات والمراجعات فأصبح النقد أكثر دقة وأوفر عمقا وأدنى الى التحليل والتنويع(٦) .

وقد بلغ النقد الأدبى فى القرن الثانى مرحلة هامة من مراحل التطور تتفق مع تلك النهضة الشاملة فى مجالات العلم والفكر والثقافة والأدب وأصبحت أقوال الأدباء والنقاد ونظرائهم تعتمد أساسا على علم ودراية وخبرة وثقافة وفن وذوق .

وقد أثر من نقد العلماء بعد جهودهم التى بذلوها فى الاستقراء والتقصى ما يدل على النقد الذى يمس الأدب فى عناصره الأصيلة ويتناول الوزن والشكل والاسلوب والمضمون وكان للشعراء أحكام فنية بالغة الروعة بما يبدو فيها من أثر الفهم العميق والتعرف على الأسباب

---

(٥) النقد المنهجي عند العرب ص ١٥ ، ١٦ .

(٦) الأدب العربى فى ظلال الأمويين والعباسيين ص ٣٤٥ .

والتنبه الى أثر البيئة فى الشعر واختلاف الأذواق باختلاف البيئات كما أنهم فطنوا الى معنى الوحدة فى القصيدة وألا يكون بين أبياتها هوة وانقطاع بل يجب أن يكون بينها ترابط واتصال(٧) .

لقد كان للمجالس العلمية والأدبية على كل المستويات دور بالغ فى الحركة النقدية ، فقد خلفت هذه المجالس تراثا كبيرا من الأدب والنقد استوعبتها أمهات كتب الأدب بل ان هذا التراث الحافل كان مقوما أساسيا من مقوماتها . ومما تجدر الاشارة اليه أن هذه الآراء والنظريات النقدية كانت ممتزجة بالدراسات البلاغية وبالبحوث اللغوية والنحوية وكانت جهود علماء اللغة فى النقد أقوى وأظهر وكان دورهم بالغ الأهمية بلا جدال فقد تناولوا فنون الشعر ونقدوها وأشاروا الى جوانب الاجادة والابدع فيها ونبهوا على نواحى الضعف والرداءة وأسباب القصور التى تعتريها ، كما أنهم وضعوا الشعراء الجاهليين فى طبقات وكانت لهم آراؤهم فى شعراء كل طبقة بل انهم وازنوا بين الشعراء الاسلاميين وغيرهم من المتقدمين وجمعوا أقوال السابقين من النقاد وأشاروا الى ما لها من أهمية واهتموا بتمحيص الرواية وجمع الشعر والاحاطة بأخبار الشعراء فكان الأصمعى وخلف وحماد وأبو عبيدة يهتمون برواية الشعر وجمعه ، وكان لخلف شهرة ومكانة فى النقد ، وكان عالما بالغريب والنحو والنسب والأخبار ويروى له كثير من الشعر الجيد(٨) ، وقد أصلح للأصمعى رواية بيت من شعر جرير وقال أرووه كذلك فلقد كانت الرواة قديما تصلح شعر الأوائل(٩) . هكذا كان النقد حتى نهاية القرن الثانى الهجرى .

---

(٧) زهر الآداب جـ ٣ ص ٦١٥ .
(٨) الشعر والشعراء ص ٣٠٨ .
(٩) الحياة الأدبية فى العصر العباسى لخفاجى ص ٩٥ .

وفى القرن الثالث الهجرى أخذ النقد يستقل بالبحث والتأليف وأقدم وثيقة وصلت الينا فى هذه الدراسات كانت وليدة هذا القرن وهما صحيفة بشر بن المعتمر ٢١٠هـ وهى مجموعة من النصائح تقدم بها كاتبها الى أصحاب صناعة الأدب وأنسب الأوقات للعمل الأدبى والحالة النفسية وتأثيرها فى انتاج الأديب(١٠) • وكان للنهضة الأدبية التى تمثلت فى حركات التجديد ومدارسه آثارها فى ظهور أعلام جهابذة فى مجال النقد كانت لهم بحوث قيمة ازدهر بها النقد العربى كابن سلام ٢٣١هـ والجاحظ ٢٥٥هـ وابن قتيبة ٢٧٦هـ وابن المدبر ٢٧٩هـ والمبرد ٢٨٥هـ وابن المعتز ٢٩٦هـ •

ولأبى تمام (٢٣١هـ) وصية أوصى بها البحترى تعتبر مثالا من أمثلة النقد الدقيق وأصلا من أصوله(١١) • وهناك غير هؤلاء من طبقة علماء اللغة أبو العميثل ٢٤٠هـ وابن السكيت ٢٤٤هـ وأبو حاتم السجستانى ٢٥٥هـ وأبو الفضل الرياشى ٢٥٧هـ والسكرى ٢٧٥هـ وثعلب ٢٩١هـ •

وابن سلام فى كتابه « طبقات الشعراء » يتناول طبقات شعراء الجاهليين وطبقات الشعراء الاسلاميين وكان كل منهما مستقل فى كتاب(١٢) • وبحوث الكتاب تتضمن ذكر أئمة العربية واتجاهاتهم العلمية وتتناول شرح الشعر العربى وأثره ونشأته وتطوره وتنقله فى القبائل وانتحاله والشعر الصحيح والشعر المصنوع وما حمل على الشعراء مما ليس لهم •

---

(١٠) قدامة بن جعفر لبدوى طبانة ص ١٨ •

(١١) انظر الوصية فى زهر الآداب جـ ١ ص ١٢٠، ١٢١ •

(١٢) الفهرست ص ١٦٥ •

ولابن سلام نظرات نقدية صائبة تضفى على كتابه أهمية بالغة وتسمو بمؤلفه الى مرتبة العلماء المحققين « ففى كتابه صورة لحياة النقد فى نشأ فى الجاهلية الى أوائل القرن الثالث وصورة للأذواق المختلفة التى خاضت فيه، ولقد كانت الأفكار فى النقد مبعثرة لا يربطها رابط حتى جاء ابن سلام فضم أشتاتها وألف بين المتشابه منها بروح علمى ذوى »(١٣) وقد نتساءل عن السر فى اهمال ابن سلام لذكر من عاصره من الشعراء كمروان بن أبى حفصة، وبشار بن برد، وابى نواس، ومسلم بن الوليد ، وأبى تمام وقد نسهل الاجابة بأن أشعار هؤلاء المحدثين كانت دائما موضوع خصومة ومثار جدل بين رواة اللغة وعلماء النحو ، وابن سلام كان واحدا منهم • وقد تكون المعاصرة فى حد ذاتها سببا فى ذلك ، اذ أن من اليسير أن ندرك أن تقرير الأحكام وتقسيم الطبقات يحتاج الى وقت تتبلور فيه المذاهب والاتجاهات وتعرف آثارها ولم يكن ذلك متاحا أو متهيئا بالقدر الذى يسمح لابن سلام أن يتحدث عن طبقات ، ولست أتفق مع الدكتور بدوى طبانة اذ يرى أن العلة راجعة الى تخوف النقاد من ألسنة الشعراء اذا ما تعرضوا لأشعارهم وكشفوا عن آرائهم فيها(١٤) ، فلقد كان هؤلاء العلماء على قدر كبير من الشجاعة والجرأة والوعى والدراية ، وما كان لألسنة الشعراء مهما بلغت حدتها أن تكفهم عن شىء أو تسكتهم وتمسك أقلامهم •

أما الجاحظ فقد كان لكتابه « البيان والتبيين » شأن وقدر وقد تمثلت فيه ثروة قيمة من الآراء النقدية والنظرات الصائبة والأقوال المأثورة والموازنات الدقيقة والتعرض لأهم القضايا الأدبية التى تثار

---

(١٣) تاريخ النقد الأدبى عند العرب ص ٩٠ •
(١٤) دراسات فى نقد الأدب العربى ص ١٢٠ •

فهو يحلل فى دقة وتفصيل مذهب الطبع والصنعة فى الشعر ويتنـــاول قضية اللفظ والمعنى ويشير الى السرقات الأدبية ويتحدث عن الجيد من الأشعار موضحا ما يمتاز به من مقومات الفن الأصيل كما آثار الجاحظ بحـــوثا بلاغية قيمة تتعلـــق بالبديع والايجـــاز والاطناب والتشـــبيه والاستعارة وغيرها ، وكانت له آراء واقوال فى الشـــعراء المحدثين ، وهو ينكر على المتعصبين تعصـــبهم ويرى أنه لو كان لهم بصر لعرفوا موضع الجيد ممن كان وفى أى زمان كان وقد أشاد ببشار ورأى أنه ليس هناك مولد الا وبشار أشعر منه ، ولا مولد أشعر بعد بشار من أبى نواس ، ويقرر أنه ما رأى رجلا أعلم باللغة ولا أصـــح لهجة مع مجانبة الاستكراه من أبى نواس ، وينقد أبا العتاهية ويرى أن شعره أملس المتون ليس له عيـــون لكنه يعجب بقـــوله « روائح الجنـــة فى الشباب » اعجابا غير محدود .

وابن قتيبة فى كتابه « الشعر والشعراء » يرى وجوب اتباع منهج المتقدمين فى نظام القصيدة(١٥) . لكنـــه مع ذلك لا يتعصب القـــديم ولا للمحدث وانما يعرف لكل قدره ومنزلته من الاجادة والابداع.وقد أحصى ابن قتيبة فى هذا الكتاب مأخذ العلماء على الشعراء ، كما تكلم عن أقسام الشعر ووجوه استحسانه وتناول بالبحث موضوع السرقات الشعرية والخصومة بين القدماء والمحدثين وتحدث عن الطبع والصنعة واللفظ والمعنى وكانت له آراؤه فى المعانى والقيم التى يتناولها الشعراء وكان له اهتمام بدراسة لغة الشعراء وأثر البيئة فيها وتحقيق نســـبة الشعر اليهم(١٦) .

---

(١٥) الشعر والشعراء ص ١٤ وما بعدها .

(١٦) نفسه ص ٦٣ ، ٦٩ ، ١٧٦ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٥ .

أما النقاد فى القرن الرابع فقد بلغوا حدا فائقا من النضج والاكتمال ومن بينهم : جعفر بن قدامة ٣١٩هـ وأبو بكر الصولى ٣٣٦هـ وقدامة بن جعفر ٣٣٧هـ وأبو الفرج الأصفهانى ٣٥٦هـ وابن العميد ٣٦٠هـ والحسن بن بشر الآمدى ٣٧١هـ والحاتمى ٣٨٨هـ والصاحب بن عباد ٣٨٥هـ وعلى بن عبد العزيز الجرجانى ٣٩٢هـ وابن وكيع ٣٩٢هـ وأبو هلال العسكرى ٣٩٥هـ .

وكانت لهؤلاء النقاد عناية بالغة بأبى تمام والبحترى والمتنبى ، وقد كان بعض هؤلاء النقاد يصدرون فى دراساتهم النقدية عن ثقافات متعددة مما حدا بباحث كالدكتور محمد غنيمى هلال أن يجعل دراسة الأدب العربى وبحوثه النقدية مدينة لكتب أرسطو (١٧) .

وليس ذلك صحيحا فقد كانت هناك عوامل كثيرة واتجاهات شتى وأطوار مرحلية واستجابة لظروف الحياة المتغيرة ومطالبها التى لا تقف عند حد ومما لاشك فيه أن يكون لذلك كله تأثيره فى الحركة الأدبية والنقدية ولو لم تكن هناك كتب أرسطو ، والباحث نفسه يعترف بذلك اذ يقرر .. أنه لا مجال لنشك فى أن نظريات أرسطو لم تؤثر وحدها فى النقد العربى وتوجيهه بل ان هذا التأثير لم يكن ذا شأن كبير لأن الأدب العربى بما يتسم به من طابع المحافظة ــ والتقليد وبما غلب فيه من الشعر الغنائى ثم لضعف الصلة فيه بين القضايا الأدبية والأهداف الاجتماعية ــ على حد قوله ــ قد عاق النقاد عن فهم نظريات أرسطو والتأثر بها حق التأثر »(١٨) .

ويقول فى موضع آخر « وسار النقاد وراء المنتجين من الأدباء ولكن فى تأن وتؤدة وكان أكثرهم فى بادىء الأمر من اللغويين والنحاة

---

(١٧) المدخل ص ١٧٥ .

(١٨) المدخل ص ١٧٦ .

ورواة الأشعار القديمة الى ان وجدت طبقة من النقاد والمنهجيين الذين اعتمدوا على ذوقهم وما استفادوا من خبرة أدبية وطول ممارسة وسعة اطلاع ، وكثير منهم أضافوا الى ذلك الذوق ما ترامى اليهم من آراء القدماء فى النقد والبيان(١٩) .

وفى القرن الخامس الهجرى ظهر الامام الحجة عبد القاهر الجرجانى ٤٧١هـ صاحب نظرية المعلقات ومؤلف أسرار البلاغة ودلائل الاعجاز وقد عاصره أبو على الحسن بن رشيق القيروانى ٤٦٣هـ صاحب العمدة فى محاسن الشعر وآدابه . وقد جمع فى كتابه الكثير من أحكام النقد الأدبى وعلوم البلاغة وغيرها وابن سنان الخفاجى صاحب « سر الفصاحة » وظهر بعد ذلك ابن الأثير ضياء الدين أبو الفتح محمد بن الكريم الموصلى م ٦٣٨هـ صاحب « المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر » .

ومما تجدر الاشارة اليه أن علوم البلاغة كانت مرتبطة بهذه الدراسات النقدية ارتباطا وثيقا ويتضح هذا فى الكتب التى سميت باسم النقد وبحثت فى أبواب البيان كنقد الشعر والعمدة(٢٠) .

ومن الحقائق المقررة أن القرآن الكريم باعتباره صورة مكتملة ومثالا رائعا لفن القول فى لغة العرب قد اجتمعت فيه ضروب الأساليب وخصائصها وأنه كان دافعا لكثير من العلماء الى التبحر فى اللغة واثارة العديد من البحوث اللغوية والنحوية وجمع مادة اللغة وشواهدها وشواردها من ينابيعها المختلفة والعناية البالغة بالشعر العربى

---

(١٩) المدخل ص ١٧٧ .

(٢٠) مقدمة لدراسة بلاغة العرب لأحمد ضيف ص ٦٨ ط القاهرة ١٩٢١ .

القديم الى جوار دراسات خصبة فى قراءات القرآن ورسمه وضبطه واعرابه وغريبه وأمثاله وقصصه ومعانيه وتأويله وطرائقه وأساليبه وحقيقته ومجازه ، ومحكمه متشابهه ، والكشف عن خصائصه فى لغته ونظمه وأنماط تعبيره ، والاهتداء الى أسرار بلاغته ودلائل اعجازه وروعة تأثيره مما كان له أعظم الأثر فى نشأة الدراسات البلاغية والنقدية وامدادها بطاقات هائلة ظهرت آثارها فى شتى المجالات اذ ساعدت على الوقوف على أسرار النظم واجتلاء نواحى الاعجاز فى القرآن الكريم وجمال تعبيره وسمو أسلوبه واثارته للأحاسيس النفسية المختلفة كالرحمة والحب واللذة والألم ، والسكينة والقلق ، والحلم والغضب ، والأمن والخوف ، ومخاطبة الغرائز فى اطارها والاقتدار على ايقاظها فى النفوس واحيائها فى الشعور ، وتنبيه الحواس وتنشيطها عند أداء المعانى المختلفة ... ثم ما كان بعد ذلك كله للقرآن الكريم من أثر بالغ فى تربية الذوق العربى وصقله وتوجيهه الى منهج عربى أصيل يقاوم كل مفتعل ودخيل ... وقد كان لذلك كله آثار عميقة فى ازدهار الشعر العربى فى كل مجال وتأصيل قواعد النقد الأدبى بلا جدال .

« الخصومة النقدية حول القدامى والمحدثين »

ولقد كان لازدهار الحركة الأدبية والنقدية آثار بالغة فى اذكاء الخصومات الأدبية وتوجيه الدراسات البلاغية وتنمية الذوق الأدبى والسمو بالأحاسيس والمشاعر ، واثارة جملة من الآراء النقدية الواعية والنظريات الدقيقة الصائبة ، والأبحاث العميقة الوافية ، والمحاورات الجدلية المحتدمة .

ومن ذلك ما رأينا من انقسام النقاد الى طوائف ازاء القدامى والمحدثين من الشعراء ... فطائفة تزرى بشعر المحدثين وتختص القدامى بكل اجلال وتقدير ، ومنهم أبو عمرو بن العلاء ١٥٤هـ الذى كان لا يحتج ببيت اسلامى(٢٧) . ورأيه فى المولدين يتمثل فى قوله « ما كان من حسن فقد سبقوا اليه وما كان من قبيح فهو من عندهم(٢٢) . ومنهم ابن الأعرابى ٢٣١هـ الذى كان يشيد بشعر القدماء ويزرى بأشعار المحدثين وكان يقول فى شعر أبى تمام « ان كان هذا شعرا فكلام العرب باطل »(٢٣) وكان يطعن على أبى نواس ويعيب شعره ويروى عنه أنه استحسن شعرا لأبى تمام ولأبى نواس دون أن يعلم أنه لها وأمر بكتابته ولما عرف نسبته اليهما أمر بتحريق ما كتب(٢٤) .

وكان يقول : « انما أشعار هؤلاء المحدثين مثل أبى نواس وغيره مثل الريحان يشم يوما ويذوى فيرمى به وأشعار القدماء مثل المسك والعنبر كلما حركته ازداد طيبا »(٢٥) ومنهم اسحاق الموصلى الذى كان من أنصار الأوائل ويتعصب على أبى نواس وطعن على أبى العتاهية (٢٦) . وكان لا يعتد ببشار(٢٧) . وكان يرى أن أبا تمام قد شدد على نفسه(٢٨) .

---

(٢١) الشعر والشعراء ص ٧ .

(٢٢) العمدة جـ ١ ص ٧٣ .

(٢٣) أخبار أبى تمام ص ٢٤٤ .

(٢٤) الموازنة ص ٢٢ أخبار أبى تمام ص ١٧٥ .

(٢٥) الموشح ص ٢٤٦ .

(٢٦) الموشح ص ٢٨٥ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ .

(٢٧) الأغانى جـ ٣ ص ٢٨ .

(٢٨) الموازنة ص ٨ .

وطائفة من النقـــاد كانوا يقدرون الجيـــد لجودته لا ينظرون الى قديم أو محدث وهؤلاء الذين يحكمون الذوق الأدبى وحده فى الشـــعر ومنهم الجاحظ وابن قتيبة والمبرد وابن المعتز • وقـــد أورد المبرد فى كتابه « الكامل » قصيدة ابن مناذر فى رثاء عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفى ومطلعها :

كل حى لاقى الحمام فعـــودى
ما عـــلى مؤمـــل من خلـــــود
لا تهـــاب المنون شـــيئا ولا تر
عى عـــلى والد ولا مولـــــود

وقال عن ابن منـــاذر : « كان رجـــلا عالما مقـــدما شاعرا مفلقا وخطيبا مصقعا وفى دهر قريب فله فى شعره شدة كلام العرب بروايته وأدبه وحلاوة كلام المحدثين بعصره ومشاهدته »(٢٩) •

وقد رأينا طائفة من النقاد تتخذ من الثقافات المستحدثة مقياســـا يحكمون به على الجـــودة والرداءة عـــلى أسس تمتاز بالعمق والدقة وسعة الاطلاع كما فعل قدامة فى كتابه « نقد الشعر » •

وقدامة هو أبو الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة المضروب به المثل فى البلاغة والذكاء (٣٠) والذى تركزت فى ذهنه عقليات مختلفـــة وتأثر بآثار متعددة مزجها بشخصيته المســـتقلة وفكره الحر وســـاغ من كل أولئك فكرة جديدة شرعت فى حياة النقد الأدبى والبلاغة العربية شرعا جديدا »(٣١) •

---

(٢٩) الكامل جـ ٢ ص ٢٨٨ ، ٢٨٩ •
(٣٠) الايضاح فى شرح المقامات لناصر بن عبد السيد المصرى ورقة (٤٠) مخطوط بدار الكتب المصرية (٤٩) أدب •
(٣١) قدامة بن جعفر والنقد الأدبى لطبانة ص ٢٢ •

واذا كان بعض المتعصبين من رواة اللغة والنحويين وغيرهم يتحرجون من رواية اشعار المحدثين فقد اتيح لهؤلاء المحدثين ان تروى شعارهم وتدون وتحظى بالعناية والاهتمام من جمهور الكتاب والأدباء ، وقد كان لهذه العناية البالغة بدورها آثارها فى حفزهم النقاد والباحثين الى التنقية والتمحيص والالتزام بالدقة ومراعاة أصول التحقيق فى كل ما يتناولونه من أشعار المحدثين .

وقد التفت الصولى الى هذا الجانب من التحقيق والتمحيص فنراه يصرح فى مقدمة ديوان أبى نواس المخطوط بروايته بأن شعر هذا الرجل مع الاستقصاء والنقد لا يخلو من منحولات متخللة ولا يعرف قائلوها الا من يتقاضاه على الأيام بعناية تامة(٣٢) .

« المدارس الشعرية »

وقد أتاحت حركة التجديد أيضا مجالا خصبا لدراسة الشعر على أساس فكرة المدارس الشعرية التى يلتزم بمنهجها وأسلوبها كثير من الشعراء ويحذون حذوها وينسجون على منوالها ، فقد كانت هناك خصائص واتجاهات واضحة وسمات مميزة لأدب هذه المدرسة أو تلك . ثم كانت هناك أيضا خطوط مميزة تنفرد ببعض السمات لكنها لن تخرج بها عن حدود المدرسة الأم التى تنتمى اليها وترتبط بأصولها .

والتعبير بلفظ مدارس وان كان حديثا الا أن العرب قد فهموا حقيقته ومضمونه من وقت بعيد فقد أدركوا أن لكل شاعر منهجه وأسلوبه وطريقته الخاصة به ... فزهير — مثلا — على رأس مدرسة خاصة

---

(٣٢) مقدمة ديوان أبى نواس رواية الصولى مخطوط بدار الكتب المصرية (١٢٦٥) أدب .

قوامها تهذيب الشعر وتثقيفه وتجويده وعدم الرضا بأول ما يرد على الخـــاطر(٣٣) .

كما أدركوا المنهـــج الخاص بجـــرير وأنه مخالف لمنهج الفـــرزدق فقالوا : « هـــذا يغترف من بحر وذاك ينحت من صـــخر »(٣٤) كذلك أدركوا القيمة الفنية لشعر بشار فأطلقوا عليه لقب « أستاذ المحدثين» الذى عنه أخـــذوا ومن بحره اغترفوا وأثره اقتفـــوا »(٣٥) بل انهم أدركوا الأصول التى ترجع اليها مذاهب التجديد وحدودها وأشـــاروا اليها ونبهوا عليها فقالوا عن الوليد بن يزيد وشعره الذى برز فيـــه : « أما الفن الذى برز فيه الوليد حتى لكأنه فتح به فى الشعر الاسلامى فتحا فهو شعره فى الخمر وهو ما برز فيه وتبعه الناس جميعـــا فيه وأخـــذوه منه »(٣٦) و « شـــعره فى وصف الخمـــر هو الأصل الذى اشتقت منه معانى الشـــعراء الذين قـــالوا فى الخمـــر وعلى رأســـهم أبو نواس والحسين بن الضحاك »(٣٧) .

وكانت معرفتهم بهذه المدارس مدخلا للتعـــرف على خصـــائصها واتجاهاتها والموازنة بينهـــا ووضع الشـــعراء فى مجموعات وطبقـــات متماثلة تسهل دراستها بعد دراسة وافية لكل شاعر والموازنة بينه وبين غيره وتحـــديد منزلته بين الشـــعراء وما أخـــذه من غيره وما أخـــذ منـــه(٣٨) .

---

(٣٣) الشعر والشعراء ص ٨ .

(٣٤) الأدب العربى فى ظلال الأمويين والعباسيين ص ٨٣ .

(٣٥) الموشح للمرزبانى ص ٢٥٠ .

(٣٦) الأغانى جـ ٦ ص ١٠٦ .

(٣٧) الأغانى جـ ٦ ص ١٠٧ .

(٣٨) أسس النقد الأدبى لأحمد بدوى ص ٥٥٠ .

وليس صحيحا ما يدعيه بعض الباحثين من أنه لا جدوى من دراسة الشعر عن طريق المدارس الشعرية اذ أنه يفترض قصور هذه الدراسة على أى حال(٣٩) .

والحقيقة أن مثل هذه الدراسة جديدة متطورة وهى مع ذلك دراسة ضرورية لتوضيح مسار حركة التجديد الشعرى على أسس منهجية قوية وموضوعية خالصة ، ثم ان دراسة المدارس بهذا الاعتبار أدق وأخص من مجرد تتبع اتجاهات الشعر فى فترة ما فى حدود تلك الأبواب المعروفة التى طرقها الشعراء والأغراض المتعددة التى تناولوها .

« الفن الشعرى والمعيار الخلقى »

وقد كان من الاتجاهات الشائعة فى شعر القرن الثانى الاتهام بالزندقة والالحاد والفجور والقضية التى يثيرها هذا الاتهام فيما يتعلق بفن الشعر هى : الى أى مدى يتأثر الفن الشعرى بالمعيار الدينى والمقياس الأخلاقى .

الحقيقة التى لا جدال فيها أن الشعر وهو فن من الفنون لا يتأثر بهذه المعايير والمقاييس ولم يتخذ النقاد ومن بينهم القاضى الجرجانى صاحب « الوساطة » من الدين أو الأخلاق أساسا يرفعون به شاعرا ويخفضون آخر ، وربما كانت نزعة الشر أقرب الى طبيعة الشعر وأدنى الى مفهومه ... فقد روى عن الأصمعى قوله « طريق الشعر اذا

---

(٣٩) محمد مصطفى هدارة فى كتابه « اتجاهات الشعر العربى فى القرن الثانى الهجرى » ص ١٤٠ .

أدخلته فى باب الخير لان »(٤٠) وقوله « الشعر نكد بابه الشر فاذا دخل فى الخير ضعف »(٤١) وابن رشيق يقول عن الشعر «ومن فضائله أن الكذب الذى اجتمع الناس على قبحه حسن فيه »(٤٢) ولقد قيل لبعض الفلاسفة فلان يكذب فى شعره فقال : « يراد من الشاعر حسن الكلام والصدق يراد من الأنبياء »(٤٣) ويروى صاحب « جمع الجواهر » أن محمد بن القاسم الأنبارى كتب رسالة الى ابن المعتز فى شأن أبى نواس وأمثاله من شعراء المجون يقول فيها : « جرى فى مجلس الأمير ذكر الحسن بن هانىء والشعر الذى قاله فى المجون وان لكل ساقطة لاقطة وان لكلام القوم رواة وكل مقول محمول فكان حق شعر هذا الخليع ألا يتلقاه الناس بألسنتهم ولا يدونوه فى كتبهم ولا يحمله متقدمهم الى متأخرهم ... والحسن بن هانى ومن سلك سبيله فى الشعر كشفوا للناس عوارهم وهتكوا عندهم أسرارهم وأبدوا لهم مساويهم ومخازيهم وحسنوا ركوب القبائح فعلى كل متدين أن يذم أخبارهم وأفعالهم وأن يستقبح ما استحسنوه ويتنزه من فعله وحكايته(٤٤) .

وقد ورد عليه ابن المعتز برسالة ورد فيها « ولم يؤسس الشعر بانيه على أن يكون المبرز فى ميدانه من اقتصر على الصدق ولم يقر بصبوقولم يرخص فى هفوة ولو سلك بالشعر هذا المسلك لكان صاحب لوائه من

---

(٤٠) انظر الموشح ص ٦٢ ص ٧١ ـ الشعر والشعراء ص ١٧٠ ـ الأسس الجمالية فى النقد العربى ص ١٧٩ .

(٤١) نفسه .

(٤٢) العمدة جـ ١ ص ١٠ .

(٤٣) الصناعتين ص ١٠٣

(٤٤) جمع الجواهر فى الملح والنوادر لأبى اسحا: الحصرى القيروانى ص ٣٣ ط : الرحمانية بمصر .

المتقدمين أمية بن أبى الصلت الثقفى وعدى بن زيد اذ كانا أكثر تذكيرا وتحذيرا ومواعظ فى أشعارهما من امرىء القيس والنابغة .. وهل يتناشد الناس أشعار امرىء القيس والأعشى والفرزدق وعمر بن أبى ربيعة وبشار وأبى نواس على تعهدهم ومهاجاة جرير والفرزدق على قذعهم الا على ملأ الناس وفى حلق المساجد وهل يروى ذلك الا العلماء الموثوق بصدقهم »(٤٥) والقاضى الجرجانى يقرر أنه لو كانت الديانة عارا على الشعر وكان سوء الاعتقاد سببا لتأخر الشاعر لوجب أن يمحى اسم أبى نواس من الدواوين ويحذف ذكره اذا عدت الطبقات الجاهلية ومن تشهد الأمة عليه بالكفر ولوجب أن يكون كعب بن زهير وابن الزبعرى وأضرابهما ممن تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاب من أصحابه بكما خرسا وبكاء مفحمين . ولكن الأمرين متباينان والدين بمعزل عن الشعراء »(٤٦) . أما قدامة فانه يعبر عن رأيه فى هذه القضية بقوله : « وليس فحاشة المعنى فى نفسه مما يزيل جودة الشعر فيه كما لا يعيب جودة النجارة فى الخشب رداءته فى ذاته »(٤٧) .

وقد ارتبطت هذه القضية بآراء قيمة تدور حول الحسن والقبيح وما هو جميل فى جوهره وما حرم من الجمال وان ظهر فى صورة الجميل ... يقول أبو حيان التوحيدى فى كتابه « الامتاع والمؤانسة » : فأما الحسن والقبيح فلابد له من البحث اللطيف عنهما حتى لا يجور فيرى القبيح حسنا والحسن قبيحا ... ومناشىء الحسن والقبيح كثيرة منها طبيعى ومنها بالعادة ومنها بالشرع ومنها بالعقل ومنها بالشهوة فاذا اعتبر هذه المناشىء صدق الصادق منها وكذب الكاذب

---

(٤٥) نفس المصدر .

(٤٦) الوساطة ص ٥٠ ، ٥١ .

(٤٧) نقد الشعر ص ٤ .

وكان استحسانه على قـــدر ذلك ... »(٤٨) ويشيد الامام الغـــزالى بالجمال المعنوى وجوهر الحسن فيقول :

« فاعلم أن الحسن والجمـــال موجود فى غـــير المحسوسات وأن الصورقظاهرة وباطنة والحسن والجمال يشملهما وتدرك الصور الظاهرة بالبصر الظاهر والصور الباطنة بالبصـــيرة الباطنة فمن حرم البصـــيرة الباطنة لا يدركها ولا يلتذ بها ولا يحبهـــا ولا يميل اليهـــا ، ومن كانت البصيرة الباطنة أغلب عليه من الحـــواس الظاهرة كان حبه للمعـــانى الباطنة أكثر من حبه للمعانى الظاهرة فشتان بين من يحب نقشا مصورا على الحائط لجمال صورته الظـــاهرة وبين من يحب نبيا من الأنبيـــاء لجمال صورته الباطنة ... »(٤٩) .

وابن سينا يقرر أن الجميل من حيث هو غاية يختلف عن الغايات الأخرى والغايات عنده ثلاث خير ونافع ولذيذ،والخير والنافع من حيث هما غايتان لا يختلطـــان باللذيذ ، واللذيذ هو حركة للنفس وتهيؤ يكون بغتة بالحس للأمر الطبيعى الملائم فكل ما يفعل هذه الحركة والتهيـــؤ فهو لذيذ وما فعل ضدها فهو مؤلم مؤذ والأمور الملايمة منها ما يلايم بالطبيعة والعادة الكسل والتوانى والمعصية والنوم والمشتهيات واللذيذ بهذا الاعتبار لا يقتضى غاية خيرة أو غاية نفسية،وابن سينا يربط اللذة بالحق فى نهاية الأمر فهو يقـــرر أن فى التخيل لذات أيضـــا وان كانت بالحرى أن تنسب الى الحس فان الذاكرين للذات يلتذون بها..»(٥٠).

) الامتاع والمؤانسة ص ١٥٠ .

(٤٩) احياء علوم الدين ص ٢٥٧ وما بعدها .

(٥٠) رسالة فى البلاغة والخطابة لابن سينا ورقة (١٠) مخطوطة .

ولقد كان لهذه الاتجاهات المتميزة آثارها فى النقد العربى ووقوفه عند حدود الفن والصنعة والتزامه بالتصوير الفنى وأسلوب الصياغة ووسائل الابداع ومظاهر التجديد مهما كانت طبيعة الموضوع وخصوصية الغرض الذى يتناوله الشاعر فى شعره ٠

وعلى هذه الأسس الفنية والوسائل الابداعية والمظاهر التجديدية قامت المذاهب الأدبية واتضحت معالمها وبرزت خصائصها واتجاهاتها وأصبحت هذه المقاييس الفنية تسرى على كل غرض وتطبق على كل موضوع : فى جد أو لهو ٠٠ فى زهد أو ترف ٠٠ فى زندقة أو ايمان فى شك أو يقين ٠٠ فى معبد أو حانة ٠٠ فى كوخ أو قصر ٠٠ فى بادية أو حاضرة ٠٠٠ ولذا فقد كان مما يشيد به النقاد فى مجال التنويع والتفاوت هذا الاقتدار البالغ فى تناول كل موضوع والنفاذ الى كل غرض ٠٠ يقول ابن رشيق « يجب للشاعر أن يكون متصرفا فى أنواع الشعر من جد وهزل وحلو وجزل وأن لا يكون فى النسيب أبرع منه فى الرثاء ولا فى المديح أنفذ منه فى الهجاء ولا فى الافتخار أبلغ منه فى الاعتذار ولا فى واحد مما ذكرت أبعد منه صوتا فى سائرها فانه متى كان كذلك حكم له بالتقدم وحاز قصب السبق كما حازها بشار بن برد وأبو نواس بعده(٥١) ٠

وقد كان للنقد الحديث كلمته فى موضوع الأدب وارتباطه بغاية خيرة وأهداف خلقية فحين يؤكد « كروتشه » فى كتابه « المجمل فى فلسفة الفن » أن الفن فى حل من كل تمييز أخلاقى ٠٠ لا لأنه وهب ميزة التحلل ٠٠ بل انه لا سبيل الى انطباق التمييز الأخلاقى عليه فقد تعبر الصورة عن فعل يحمد أو يذم من الناحية الأخلاقية ولكن

---

(٥١) العمدة ج ٢ ص ٩٩ ٠

الصورة نفسها من حيث هى صورة لا يمكن أن تحمد أو تذم من الناحية الأخلاقية »(٥٢) نجد زكى مبارك يصرح فى مقدمة كتابه « حب بن أبى ربيعة » أنه يؤثر الأدب المكشوف وأن الأدب كالفن يجب أن يسمو عن الأوضاع والتقاليد حتى لا يفتر ويضوى بوضعه تحت رحمة المتزمتين ورعاية المتحرجين .. وهو يفضل الأدب عاريا متحررا ويعتبره بذلك معبرا عن المعانى الانسانية على حقيقتها دون غطاء وأن ذلك هو ما يجعله أبقى على الدهر »(٥٣) .

ويقرر عز الدين اسماعيل أن كثيرا من الأحكام يؤكد أن استهداف غاية خيرة فى الشعر كان يحط من قدر الشعر والشاعر لأن العرب لم يجعلوا مهمة الشاعر الوصول الى الغايات الخيرة وفقدان هذه الغايات فى الشعر لا يمكن عندهم أن يتخذ أساسا للحكم على الشاعر بالرداءة أو التأخر وليس الشاعر مطالبا بأن يكون صادقا أو يقدم للناس فى شعره مثلا للصدق فليست هذه مهمته الفنية وانما مهمته أن يحسن الكلام فحسب ، فاضافة الصدق الى الشاعر لا تخلق منه شاعرا ممتازا ولا تكسب شعره قيمة بل ربما تخلفت به فى حين أن الكذب يحسن منه وهذه ولاشك مبالغة فى اقصاء الغايات الأخرى غير الغاية الفنية الصرفة عن ميدان الشعر ... »(٥٤) .

هكذا تتعدد الآراء ، وتختلف وجهات النظر وتثار القضايا وتقام الأدلة وفى ذلك كله اثراء للنقد الأدبى ودعم لمذاهبه واتجاهاته الفنية .

---

(٥٢) المجمل فى فلسفة الفن لبند توكروتشه ترجمة سامى الدروبى ص ٣٠ .

(٥٣) حب ابن أبى ربيعة مقدمة الطبعة الثالثة ١٩٢٨ .

(٥٤) الأسس الجمالية فى النقد العربى ص ٤٠٠ وما بعدها .

« الطبع والصنعة فى النقد العربى »

بين القديم والحديث

وقد أثيرت آراء وبحوث قيمة قديما وحديثا حول الطبع والصنعة وكانت الأحكام النقدية بحق تعبيرا عن هذه الآراء وصدى لهذه البحوث ... يقول الجاحظ : « فكل شىء للعرب فانما هو بديهة وارتجال وكأنه الهام وليس هناك معاناة ولا مكابدة ولا اجالة فكرة وانما هو أن يصرف وهمه الى الكلام والى جملة المذهب والعمود الذى يقصد فتأتيه المعانى أرسالا وتنثال عليه الألفاظ انثيالا »(٥٥) ويقول ابن قتيبة « ومن الشعراء المتكلف والمطبوع : فالمتكلف هو الذى قوم شعره بالثقاف ونقحه بطول التفتيش وأعاد فيه النظر بعد النظر ... والمطبوع من الشعراء من سمح بالشعر واقتدر على القوافى وأراك فى صدر بيته عجزه وفى فاتحته قافيته وتبينت على شعره رونق الطبع ووشى الغريزة واذا امتحن لم يتلعثم وأم يتزحر .. »(٥٦) ويقول ابن رشيق « ومن الشعر مطبوع هو الأصل الذى وضع أولا وعليه المدار . والمصنوع وان وقع عليه هذا الاسم فليس متكلفا تكلف اشعار المولدين لكن وقع فيه هذا النوع الذى سموه صنعة من غير قصد ولا تعمل لكن بطباع القوم عفوا فاستحسنوه ومالوا اليه بعض الميل بعد أن عرفوا وجه اختياره على غيره (»٥٧) .

ويقول القاضى الجرجانى : « ان الشعر علم من علوم العرب

---

(٥٥) البيان والتبيين ج ٢ ص ١٥ .

(٥٦) الشعر والشعراء ص ٢٢ ، ٣٦ « والزحير : اخراج الصوت أو النفس بأنين عند عمل أو شدة » .

(٥٧) العمدة ج: ١ ص ١٠٨ .

يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء ثم تكون الدربة مادة له وقوة لكل واحد من أسبابه فمن اجتمعت له هذه الخصال فهو المحسن المبرز وبقدر نصيبه منها تكون مرتبته من الاحسان .. ولست أفصل فى هذه القضية بين القديم والمحدث والجاهلى والمخضرم والأعرابى والمولد ... »(٥٨) .

ولأبى اسحق الحصرى رأى فى الطبع والصنعة اذ يقول «والكلام الجيد الطبع مقبول فى السمع قريب المثال بعيد المنال أنيق الديباجة رقيق الزجاجة يدنو من فهم سامعه كدنوه من وهم صانعه.. والمصنوع مثقف الكعوب معتدل الأنبوب يطرد ماء البديع على جنباته ويحول رونق الحسن فى صفحاته كما يجول السحر فى الطرف الكحيل والأثر فى السيف الصقيل »(٥٩) .

ويقرر أبو حيان التوحيدى فى مقابساته أن الصناعة تحكى الطبيعة وتروم الالحاق بها لانحطاط رتبتها عنها وأن الطبيعة قد احتاجت الى الصناعة حتى يكون الكمال مستفادا مأخوذا من جهتها والغاية مبلوغة بمعونتها واصدارها .. ان الصناعة تستملى من النفس والعقل وتملى على الطبيعة وقد صح أن الطبيعة مرتبتها دون مرتبة النفس تقبل آثارها وتمتثل أمرها وتكمل بكمالها وتعمل على استعمالها وتكتب باملائها وترسم بالقائها ... »(٦٠) .

وهذا الفهم لمعنى الطبع والصنعة يرجع الى معيار دقيق من تطور القيم الجمالية وارتقاء الأذواق برقى الحياة العامة التى لم تعد

---

(٥٨) الوساطة ص ١٢ .
(٥٩) زهر الآداب جـ ٣ ص ٨٥٩ .
(٦٠) المقابسات ص ١٦٣ : ١٦٤ تحقيق السندوبى .

تقنع بما كان يكفى فى الماضى ويقنـــع والتى سايرت فى جملتهـــا تلك المظاهر المعقدة والحياة المركبة فى العصر العباسى ٠

والمحدثون من النقاد لهم آراؤهم فى الطبع والصنعة كذلك ، فالعقاد يرى أن شعور الشاعر بنفسه حد بين الطبع والتكلف فاذا كان الشـــعر صادقا مؤثرا فهو من شعر الطبع والا فهو متكلف(٦١) ٠ ويرى العقاد أن الأديب المطبوع من كان غير مقلد فى معناه أو فى لفظه وان يكـــون صاحب هبة فى نفسه وعقله لا فى لسانه فقط »(٦٢) ٠

ويقرر صاحب الطبع والصنعة فى الشعر أن الشعر اذا كان صادرا عن ذات نفس الشاعر كان هو شعر الطبع أو شعر الفطرة(٦٣) ٠ ويقول « فأينما وجدت النفس المتأثرة بما يزحمها من بواعث الشعور فقد وجد هنالك شعر الفطرة »(٦٤) ويرى محمد عبد المنعم خفاجى أن الطبع هو الملكة القادرة فى نفس الشـــاعر والأديب التى توحى اليـــه بفنه وأدبه وحى الفطرة والطبيعة واستجابة لعواطفه ومشاعره دون تكلف وتعب فى الصوغ أو استجداء لترف الاسلوب والصناعة ٠ أما الصنعة عنده فهى احساس الشـــاعر أو الأديب بآثار الجمـــال الفنى وترف الأداء وزخرف الاسلوب وحبه لهذا الجمال والترف والزخرف وهيامه الفنى بصـــنعته حتى ليطلب الفن الفن ويستلهم الجمال للجمال ويســـتوحى الشعر من ملكاته الفنية التى استبدت بها هذه النزعة(٦٥) ٠

---

(٦١) مطالعات فى الكتب والحياة ص ٢٧٧ ٠

(٦٢) مطالعات للعقاد ص ٢٢٦ ٠

(٦٣) الطبع والصنعة فى الشعر لمحمد الهيباوى ص ٧ ٠

(٦٤) نفســـه ٠

(٦٥) الآداب العربية فى العصر العباسى الأول ص ٢٣٩ ٠

وفى مجال البحث نرى أن « بودلير » الشاعر الفرنسى ١٨٦٧م ينـدد بمذهب الالهام ويدعو الى فهم الشعر على أنه صنعة وينادى بأن على الشاعر أن يجمع بين الاحســاس والذوق النقدى وأن يخضــع الشعر بدلا من أن يخضع هوله(٦٦) • كما نرى « سبندر » الانجليزى يقرر أن كل شىء فى الشعر انما هو صنعة وجهد وانه ليس للابهام معنى سوى انبثاق الفكــرة الأولى فى ذهن الشاعر ويأتى بعد ذلك البنــاء والصنعة والعمل(٦٧) • أما « بند توكر وتشــيه » الايطالى فانه يرى أن الالهام هو حب الفكرة والهيام بها والمثابرة على طلبها(٦٨) •

ويقرر هوراس أن الأقدمين لمسوا ما بين الشعر وما فوق الطبيعة من صلة وأن أفلاطون يذيع على لسان سقراط فى « الأيون » أن عامة المحسنين من الشعراء ســواء فى ذلك كتاب الملاحم وكتــاب الغنائيات لا ينظمون قصائدهم الجميلة على أنهــا انتاج فنى بل لأنهم ملهمــون تملكهم الشياطين ، وينقل عنه أن الشــعراء الغنائيين يفقدون رشدهم عندما ينظمون أناشيدهم الجميلة وحالما يخضعون لسلطان الموســيقى والوزن يوحى اليهم وتمتلكهم الأرواح(٦٩) •

ولذلك كان الشعر ظاهرة لا يستطيعها فى كل الأمم والعصــور الا قليل وقد لا يعرفون سبب امتيازهم فيها ولا أصل قدرتهم عليهــا ولكنهم ينطقون بهذا الكلام الذى يمتاز على غيره من الكلام بنظام خاص

---

(٦٦) دراسات فى النقد العربى الحديث ومذاهبه لخفاجى ص ٨٠

(٦٧) نفسه •

(٦٨) نفسه ص ٨١ •

(٦٩) فن الشعر لهوراس ترجمة لويس عوض ص ٥١ الى ص ٥٤

فى تركيبه وحالات غريبة تحيط بالشعراء اذا ألقى اليهم وحى الشعر وهبط عليهم شيطانه(٧٠) ٠

وبعد فان القول بالالهام والاعتداد بالطبع فى الشعر مذهب قديم نادى به أفلاطون وكذلك فان الاهتمام بالصنعة مذهب قديم عرفناه لأرسطو الذى كان لا يعتد بجانب الالهام الغيبى فى الشعر ولا يعتمد فى نقده الا على الأصول والقواعد الفنية فحسب(٧١) ٠

« قضية الاستواء والتفاوت فى الشاعرية »

بين القديم والحديث

ومما يتصل بالطبع والصنعة فى الشعر قضية هامة اتيحت لها دراسة موضوعية خصبة قيمة وأعنى بها قضية الاستواء والتفاوت فى الشاعرية وموقف النقاد منها فى القديم والحديث ٠ فقد لوحظ أن كثيرا من فحول الشعراء لا يستقر انتاجهم الأدبى فى مكانة خاصة محددة من الجودة والامتياز بل يحدث فى كثير من الأحوال أن يرتفع الشاعر بشعره الى القمة وقد يهبط فى بعض الأحوال الى الحضيض ٠٠ وعلى سبيل المثال فقد أخذ على بشار هذا التفاوت فى شعره وكان جوابه تارة « انما أخاطب كلا بما يفهم »(٧٢) وتارة كان يجيب بقوله

---

(٧٠) موسيقى الشعر لابراهيم أنيس ص ٨ ، ص ١١ ٠

(٧١) فى الأدب والنقد لمحمد مندور ص ٤٤ : ص ٥٤ المدخل الى النقد الأدبى الحديث لغنيمى هلال ص ٦٤ ، ص ٧١ قواعد النقد الأدبى لاسل آبر كرومبى ترجمة محمد عوض ص ٦٤ ، ص ١٣٦ ٠

(٧٢) الأغانى جـ ٣ ص ١٦٢ وما بعدها ٠

« انما الشاعر كالبحر مرة يقذف صدفة ومرة يقذف جيفة »(٧٣) والأصمعى يقول عن بشار « كان مطبوعا لا يكلف طبعه شيئا متعذرا لا كمن يقول البيت ويحكه أياما وأنه يصلح للجد والهزل(٧٤) .

وأبو نواس يقول عنه ابن المعتز كان آدب الناس وأعرفهم بكل شعر وكان مطبوعا لا يستقصى ولا يحلل شعره ولا يقوم عليه ويقوله على السكر كثيرا فشعره متفاوت لذلك يوجد فيه ما هو فى الثريا جودة وحسنا وقوة وما هو فى الحضيض ضعفا وركاكة(٧٥) .. ومسلم بن الوليد قيل فيه « انه خليج صاف ينزع من بحر كدر كزند توري تارة وتصلد أخرى » .

ويروى صاحب الموشح أن أبا العتاهية كان مع رقة طبعه وقرب متناوله وسهولة نظم المنثور عليه وسرعته الى ما يعجز المتأنى بلوغه لا يخلو من الخطأ الفاحش والقول السخيف »(٧٧) ويروى أن أبا العتاهية مع اقتداره فى قول الشعر وسهولته عليه يكثر عثاره وتصاب سقطاته وكان يلحن فى شعره(٧٨) : وفى « موازنة الآمدى » أن شعر أبى تمام شديد الاختلاف فهو يعلو علوا حسنا وينحط انحطاطا قبيحا(٧٩) . ويقرر كارل بروكلمان أن أبا تمام كان يشكو موت

---

(٧٣) مقدمة ديوان بشار جـ ١ ص ٧٥ .

(٧٤) الأغانى جـ ٣ ص ١٤٩ .

(٧٥) طبقات الشعراء لابن المعتز ص ١٨٥ .

(٧٦) مقدمة ديوان أبى نواس للأصفهانى ص ١١ ص : آصاف .

(٧٧) الموشح ص ٢٥٩ .

(٧٨) الموشح ص ٢٦٢ .

(٧٩) الموازنة ص ١٥ .

الشعر(٨٠) • وأبو تمام نفسه يقول « مثل شعر الرجل عنده مثل أولاده فيهم الجميل والقبيح والرشيد والساقط وكلهم حلو فى نفسه فهو وان أحب الفاضل لم يبغض الناقص وان هوى بقاء المتقدم لم يهو موت المتأخر(٨١) وقد أخذ على البحترى أنه مقصر فى باب الهجاء اذ أن ما أثر من هجاء للبحترى ليس على مستوى سائر شعره فهو أقل منه قيمة وأدنى منزلة ولا يشاكل طبع البحترى ولا يليق بمذهبه وينبىء بركاكته وغثاثة ألفاظه عن قلة حظه فى الهجاء(٨٢) ••• وهكذا وكان الأصمعى يستحسن هذا التفاوت فى الشاعرية لأنه مظهر الطبع وخلو الشعر من آثار الصناعة(٨٣) ، ويرى العقاد أن التفاوت فى الشاعرية دليل عبقرية الشاعر وطبعه(٨٤) • ويرى المرصفى أن شعر الشاعر لا يكون دائما بمنزلة واحدة فقد يجود وقد يسف فلا ينبغى الاغترار بشهرة المشهور وانما الذى ينبغى دائما هو لاحتكام للقوانين التى بمخالفتها وموافقتها يرد القول ويجود(٨٥) •

---

(٨٠) تاريخ الأدب العربى ج ٢ ص ٧٦ •

(٨١) الأغانى ج ١٥ ص ٢٢٨ ط : بيروت •

(٨٢) أغانى ساسى ج ١٨ ص ١٦٧ •

(٨٣) الآداب العربية فى العصر العباسى الأول لخفاجى ص ٢٤٠ •

(٨٤) المرجع السابق •

(٨٥) الوسيلة الأدبية ج ٢ ص ٤٦٣ •

« الغموض والخفاء والنزعة التصويرية الابداعية »

فى ميزان النقد العربى بين القديم والحديث

وقد أثار أبو تمام ضجة فنية كبرى فى مجال الأدب والنقد بصناعته الشعرية ووشيه وتصويره وابتكاره ألوانا من الأفكار والمعانى والصور الجديدة ومزجه ذلك كله بالفلسفة والمنطق وأنماط الثقافة مما أشاع فى شعره غموضا وخفاء وأحدث فى أسلوبه تعقيدا والتواء وبذلك كان أبو تمام البداية المنظمة فى الصناعة والزخرفة بعد حركة البديع والجديد التى قادها وأرسى دعائمها بشار زعيم المجددين وأستاذ المحدثين .. لقد كان شعر أبى تمام يمثل بحق مدرسة فنية كبرى لها خصائصها وسماتها وتأثيرها الفعال فى الشعر العربى بلا جدال . وقد انقسم الناس حول شعره وثارت حوله ضجة وألفت كتب وعقدت موازنات وظهرت بحوث عديدة حول المعانى والألفاظ والبديع والتصوير واليسر والوضوح الغموض والخفاء والسرقات الشعرية والتلفيق والتحوير نرى ذلك بوضوح فى مؤلفات : ابن المعتز والصولى والآمدى وقدامة والجرجانى وابن رشيق والمرزوقى وغيرهم، مازالت تلك القضايا من أهم الدعائم والأسس فى النقد العربى الحديث، والبحوث فيها بحوث خصبة تمتاز بالحيوية والعمق والأصالة وصحة النظر وسلامة الذوق وسداد الرأى .

وشاء القدر أن يعاصره البحترى وهو قريب المعنى حسن الاسلوب لا يغرب اغراب أبى تمام ولا يبعد عن عمود الشعر بعد أبى تمام مع ما يمتاز به شعره من ديباجة مشرقة وسبك محكم فساعد وجود البحترى على انقسام الأدباء والعلماء وخلف هذا الانقسام ثروة جيدة من النقد الأدبى لم يظفر بمثلها فى عصر من العصور .وكانت

هناك آراء للأنصار والخصوم وكانت هناك اتجاهات ووجهات نظر وكانت هناك كتب تؤلف وبحوث تعرض كالموازنة بين أبى تمام والبحترى للآمدى « وأخبار أبى تمام للصولى » و « سرقات أبى تمام لابن أبى طاهر » و « سرقات البحترى من أبى تمام » « لبشر بن تميم » و « المشكل والانتصار » للمرزوقى ٠

كان أبو تمام خير من يمثل نزعة التصوير والتلوين العقلى والفلسفى فى الشعر العربى وقد تصدى النقاد لأبى تمام ومدرسته الأدبية وثارت الخصومة من حوله واتهم بالخروج على عمود الشعر العربى وسننه المتبعة ورأينا ناقدا كالآمدى يقول عنه « انه ضل طريق الصواب اذ العرب جرت على أن تستعير المعنى مما ليس له اذا كان يقاربه أو يدانيه أو يشبهه فى بعض أحواله أو كان سببا من أسبابه ٠٠٠ »(٨٦) ٠

أما الراغب الأصفهانى فانه يقف موقفا معتدلا ويقرر أن الأمر يرجع الى الذوق الخاص فيقول : « مذاهب الناس فى ذلك مختلفة فمنهم من يميل الى ما سهل فيقول خير الشعر ما لا يحجبه شىء عن الفهم ٠ وقال آخر خير الشعر ما معناه الى قلبك أسرع من لفظه الى سمعك ٠ ومن يقول ما كان مطابقا للصدق وموافقا للوصف ٠ ومنهم من يميل الى ما انغلق معناه وصعب استخراجه كشعر ابن مقبل والفرزدق »(٨٧) ٠

وكان على النقد الحديث أن يدلى برأيه فى هذه الخصومة ، وأن يبين بوضوح أن أبا تمام حين جاء بمذهبه الجديد كان مؤسسا لمدرسة

---

(٨٦) الموازنة ص ٢١٣ ٠

(٨٧) محاضرات الأدباء ج ١ ص ٥٥ وما بعدها ط : الهلال ٠

فنية كبرى فى الشعر العربى وأنه لم يهدم المذهب القديم بل انه أخذ يزاوج بين القديم وجديده ويبرز القديم فى قوالب جديدة من الفكر والفلسفة والمنطق وبراعة التعبير وروعة التصوير وهو بذلك لم يكن سلبيا يهدم وانما كان ايجابيا بينى يبتكر ويبدع •

والشاعر حين يلجأ الى التصوير البيانى يعرض أمامنا أفكارا جديدة ، فوجوه البلاغة المختلفة هى من وسائل الايحاء بالحقيقة عن طريق الخيال فالخيال فيها سبيل جلاء الحقيقة والبرهنة عليها على نحو ما ، وكان من أسباب عناية نقاد العرب بالبيان والبديع ما دار من جدل حول أدب المحدثين من أمثال بشار وأبى نواس ومسلم بن الوليد وقد حفل بها وتكلفها أبو تمام حتى كان شعره مثار الخصومة بين أنصار القدماء وأنصار المحدثين •

وقد تناول النقاد الوجوه البلاغية عن طريق الاستقراء والتتبع لكلام العرب يؤازرهم فى ذلك طبع مصقول بالدراية والخبرة وقد تعرض كثير منهم لهذه الوجوه البلاغية على أساس جلاء الروعة الفنية عن طريق الموازنة بين المعانى وتقسيم وجوه الحسن والجودة فى الفنون البلاغية وبيان جهة الأصالة وأهداف البيان فى الكشف عن المعانى والأفكار وتمثيلها ولعل أهم نقطة فى هذه القضية هى ما يتصل بالخلق الفنى والقدرة على الابتكار فى صور الخيال الأمر الذى تعرضت بسببه حركات التجديد فى الأدب العربى ونقده لكثير من مظاهر الخصومة والصراع فقد كان كثير من الشعراء والنقاد يسيرون على نهج السابقين فى تعبيرهم وتصويرهم وأساليبهم ويرفضون كل خيال جديد وتعبير مبتكر لم يرد عن طريق القدماء وكان الاعتقاد السائد أن الجاهليين والعرب والأعراب خير من المولدين والمحدثين أهل الأمصار مع أنه قد ينبغ من بين المحدثين من يسمو بمنزلته على

القدماء ... يقول الجاحظ : « والقضية التى لا أحتشم منها ولا أهاب الخصومة فيها أن عامة العرب والأعراب والبدو والحضر من سائر العرب أشعر من عامة شعراء الأمصار والقرى من المولدة والنابتة (الطارئين) وليس ذلك بواجب لهم فى كل ما قالوه وقد أيت ناسا منهم يبهرجون أشعار المولدين ويستسقطون من رواها ولم ذلك قط الا فى رواية للشعر غير بصير بجوهر ما يروى ولو كان له بصر لعرف موضع الجيد ممن كان وفى أى زمان كان(٨٨) . وقد رأينا الآمدى فى موازنته والجرجانى فى وساطته يسويان بين القدماء والمحدثين أنصافا للجيد منهما بجيده واعترافا بالخطأ والقصور لدى من يخطىء ويقصر . بل ان ابن الأثير قد فضل المحدثين على القدماء(٨٩) . ولابن قتيبة رأى سديد فى هذه القضية اذ يقول « ولا نظرت الى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه ولا المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره بل نظرت بعين العدل للفريقين وأعطيت كلا حقه . ولم يقصر الله الشعر والعلم والبلاغة على زمن دون زمن ولا خص به قوما دون قوم »(٩٠) .

وقد سلك بعض النقاد مسلكا موضوعيا فاستحدثوا مقاييس عامة لجودة الأخيلة الشعرية وبحث القوانين العامة فى الأخيلة والصور ولو قدر لهذه الدراسات النمو والاكتمال والاستمرار لكان لها شأنها وخطرها فى المجالات الأدبية والنقدية .

لقد كانت هناك دراسات قيمة حول الحقيقة والمجاز والدلالات وفصاحة الكلمة وفصاحة الكلام ومطابقته لمقتضى الحال وأسرار بلاغة

(٨٨) الحيوان ج ٣ ص ١٣٠ .
(٨٩) الاستدارك لضياء الدين بن الأثير ص ٢٤ ط : القاهرة ١٩٥٨
(٩٠) الشعر والشعراء ص ٢

الاسلوب وجمال التعبير وحسن الاستعارة وروعة التشبيه وقوة الكناية ووجوه البديع والايحاء والملاءمة بين اللفظ والمعنى والتصوير والخيال والعاطفة والانفعال والأوزان والقوافى وضرورات الشعر • ونذكر على سبيل المثال ما أورده صاحب الطراز فى الجزء الأول ص٢٤١،ص٢٤٢ : « كل استعارة لا مناسبة فيها بين الطرفين رديئة غير مقبولة كقول أبى نواس :

بح صوت المال مما منك يشكو ويصيح

مراده أن المال يتظلم من اهانته له بالتمزيق بالاعطاء فالمعنى جيد ولكن الاستعارة قبيحة نازلة لأنه لا صلة بين المال والانسان •

وأضعف استعارة من البيت السابق قوله :

ما لرجل المال أضحت تشتكى منك الكلالا

ومن ضعيف الاستعارة قول أبى تمام :

بلوناك أما كعب عرضك فى العلا فعال وأما خد مالك أسفل

مراده عرضك مصون ومالك مبتذل لكنه أخرجه أقبح مخرج ••••١ه •

ولا شك أن مثل هذه الآراء والأحكام تثير كثيرا من القضايا والبحوث النقدية والبلاغية وتتيح فرصا مواتية لآراء أكثر نضجا وأحكام أعظم دقة وصوابا •

وقد كان لبعض الشعراء كذلك شهرة بالتصوير والتجسيم والتشخيص والاستقصاء وطول النفس والهجاء الساخر كابن الرومى الذى كان صاحب ابداع وتجديد يسلك سبل المبدعين ويمضى مع المجددين فى وسائلهم وأساليبهم لكنه كان فى ابداعه وتجديده يحتذى

بمثال وينسج على منوال ... وكان شعر ابن الرومى مجال بحث ودراسة من جماعة النقاد الذين اختلفوا فى تقدير مكانته وتحديد منزلته الأدبية اختلافا كبيرا فقد أهمله بعضهم ولم يجعل لشعره قيمة ورأى آخرون أنه أولى الناس باسم شاعر لكثرة اختراعه وحسن افتنانه(٩١) . يقول القاضى الجرجانى : « وقد نجد كثيرا ينتحل تفصيل ابن الرومى ويغلو فى تقديمه ونحن نقرأ القصيدة الواحدة من شعره وهى قد تناهز المائة أو تزيد فلا نعثر فيها الا بالبيت الذى يروق أو البيتين ثم قد تنسلخ قصائد منه وهى واقفة تحت ظلها جارية على وسلها لا يحصل منها السامع الا على عدد القوافى وانتظار الفراغ منها »(٩٢) . ويروى المسعودى أنه « كان من مختلفى معانى الشعر والمجودين فى القصير والطويل وكان الشعر أقل أدواته »(٩٣) .

ويقرر أبو العلاء فى رسالة الغفران أن « ابن الرومى أحد من يقال ان أدبه أكثر من عقله وكان يتعاطى علم الفلسفة »(٩٤) .

أما النقاد فى العصر الحديث فقد كانوا أكثر تفهما لطبيعة شخصيته وأوفى تقديرا لفنه وشاعريته .. يقول المازنى « فما نعرف رجلا أصابه ما أصاب ابن الرومى ولا شاعرا تهاون به الناس حيا وميتا وتناسوا ما يجب له الا هو »(٩٥) ويقول « وقل من بين شعراء

---

(٩١) العمدة ج ص ٢٥٥ .

(٩٢) الوساطة ص ٤٢ .

(٩٣) مروج الذهب ج ٤ ص ٢١٤ .

(٩٤) رسالة الغفران ١٦١ ـ ١٦٤ .

(٩٥) حصاد الهشيم ص ٢١٥ .

العرب أو غيرهم من يقارب ابن الرومي فى دقة احساسه بالجمال فى جميع مظاهره وأشكاله »(٦) ويقول العقاد :

« ابن الرومى واحد من أولئك الشعراء القليلين الذين ظفروا من الطبيعة الفنية بأوفى نصيب »(٩٧) • ويقول « فهو الشاعر من فرعه الى قدمه والشاعر فى جيده ورديفه والشاعر فيما يحتفل به وفيما يلقيه على عواهنه وليس الشعر عنده لباسا يلبسه للزينة فى مواسم الأيام ولا لباسا يابسه للابتذال فى عامة الأيام ••• كلا ••• بل هو اهابه الموصول بعروق جسمه المنسوج من لحمه ودمه فللردىء منه مثل ما للجيد من الدلالة على نفسه والابانة عن صحته وسقمه »(٩٨) ويرى شوقى ضيف أن ابن الرومى خير من يمثل نزعة التصوير فى الشعر العربى وأنه خلف أبا تمام فزاد فى الطنبور نغمات وملأ شعره بالأشباح والخيالات »(٩٩) ولنجيب البهبيتى رأيه فى ابن الرومى اذ يقول « ولم يكن ابن الرومى شيئا كبيرا بالقياس الى الخالقين من السادة الذين تركوا على الشعر العربى أثرا باقيا ذلك أن ابن الرومى ظاهرة فردية متميزة حقا فى الشعر العربى وتياراته ولكنه ليس ذلك التميز الباقى وانما هو تميز الغرابة بعض الغرابة فى تفاصيل الشعر وليس فى أنماطه(١٠٠) • أما طه حسين فانه يعبر عن رأيه فى ابن الرومى بطريقته الخاصة فيقول « أما ابن الرومى فهو سهل فى شعره لا يريد أن يشق على نفسه ولا على سامعيه وهو يرسل لسانه على سجيته كما يرسل نفسه على سجيتها فهو من أقل الشعراء كلفا

---

(٩٦) حصاد الهشيم ص ٢٨٢ •
(٩٧) ابن الرومى للعقاد ص ٥ •
(٩٨) ابن الرومى ص ٨
(٩٩) دراسات فى فى الشعر المعاصر ص ٢٣١ •
(١٠٠) تاريخ الشعر العربى ص ٥١٧ •

بالغريب وايرادا له وعنايته بالجمال اللفظى قد تحس أحيانا ولكنها تلتمس فلا توجد فى كثير من الأحيان ، وقد تروعك سهولة اللفظ فى البيت أو البيتين ولكنك لا تستطيع أن تقرأ قصيدة كاملة دون أن تجد فى هذه القصيدة من الألفاظ ما يغيظك أحيانا ويضيق به صدرك أحيانا أخرى »(١٠١) وهكذا أثار شعر ابن الرومى كثيرا من الآراء والأحكام النقدية فى القديم والحديث وفتح آفاقا رحبة لدراسات خصبة حول التصوير الشعرى والتجسيم والتشخيص والهجاء الساخرة وظاهرة الاستقصاء والاسهاب وطول النفس فى القصيدة العربية ، وتأثير الثقافة الأجنبية فى الشعر العربى .

* * *

انه تراث حافل بلاشك توارثه الشعراء وتناهى الى ابن المعتز فى القرن الثالث الهجرى فكان خليقا أن يتأثر به ويحذو حذوه ويجيل النظر فيه ويعبر عن رأيه فيمايتناوله من قضايا وما يسلكه من اتجاهات ومذاهب .

وابن المعتز شاعر موهوب تفيض شاعريته رقة وعذوبة وسحرا وهو مع ذلك علم من أعلام النقد الممتازين فى عصره بل انه أعظم نقاد عصره آثارا وأكثرهم عناية بالبحث فى النقد والتأليف فيه(١٠٢) كما يعتبر ابن المعتز اماما من أئمة البلاغة والبيان فقد كانت له آراء ناضجة واهتمام خاص بألوان البيان وأساليب البديع وترف الأداء .

لقد كان لابن المعتز آثار كثيرة فى النقد والبيان أهمها : سرقات الشعراء وطبقات الشعراء ورسالة فى محاسن ومساوىء شعر

---

(١٠١) من حديث الشعر والنثر ص ١٣٦ .
(١٠٢) ابن المعتز لخفاجى ص ٥٢٩ .

أبى تمام ومجموعة رسائل تتضمن كثيرا من آراء ابن المعتز ونظراته فى الأدب والنقد والبيان ٠

وكتابه « سرقات الشعراء » يشير اليه الآمدى ويذكره صاحب الفهرست ووفيات الأعيان وشذرات الذهب ، وكما يفهم من هذه الاشارات فان الكتاب لم يكن قاصرا على ذكر السرقات بل كان يتضمن كثيرا من الآراء النقدية فى شعر كثير من فحول الشعراء وبيان ما أخذه النقاد عليهم من مآخذ وما أحصوه من عيوب ٠٠٠ أما كتابه « طبقات الشعراء » فانه يتناول فيه طبقات الشعراء المخضرمين والمحدثين بتوسع واستقصاء ويفصل القول فى مذاهبهم واتجاهاتهم وما يشتهرون به من أغراض وما أثر عنهم من روائع الشعر وهو فى خلال ذلك يورد كثيرا من النصوص التى يستشهد بها على ما يقول وقد يشرع ويعلق ويوازن ويبدى رأيه وهو يصدر فى الغالب من أحكامه عن روح شاعر ، وبصيرة ناقد ، واحساس متذوق ٠ وفى رسائل ابن المعتز كثير من آرائه النقدية وحين تذوقه واحاطته الشاملة بوجوه البلاغة والبيان ، وهو يدلى بآرائه هذه فى شتى القضايا التى أثيرت فى عصره ومن قبله ، كما أنه كان صاحب نظر ثاقب وتقدير سليم لوجوه الشعر وضروب التصوير فيه وهو يعنى عناية بالغة بشعر المحدثين ويشيد بهم ويعرف ما لهم من وزن وقدر ٠ ولابن المعتز رسالة فى محاسن شعر أبى تمام ومساوئه(١٠٣) وهى رسالة لها قيمتها النقدية وهى أصل من الأصول التى اعتمد عليها الآمدى فى موازنته ونقده لشعر أبى تمام(١٠٤) ٠

---

(١٠٣) الموشح ص ٣٠٧ ٠

(١٠٤) ابن المعتز ص ٥٢٨ ٠

واذا كانت هـذه هى منزلة ابن المعـتز فى النقد فان له مكـانته ومنزلته كذلك فى البلاغة والبيان اذ أنه تنـاول فى كتابه البديع شـتى أساليب البديع والجديد ووجوه الاحسان فى القول ٠

وألوان البديع عند ابن المعتز خمسة : الاسـتعارة ـ التجنيس ـ المطابقة رد المعجز على الصدر ـ المذهب الكلامى ٠ ويذكر من محاسن الكلام والشعر : الالتفات ـ الاعتراض ـ الرجوع ـ حسن الخروج ـ تأكيد المدح بما يشبه الذم ـ تجاهل العارف ـ الهزل الذى يراد به الجد ـ حسن التضمين ـ التعريض والكناية ـ الافراط فى الصفة ـ حسن التشبيه ـ لزوم ما لا يلزم ـ حسن الابتداء(١٠٥) ٠

وقد اعتمد كثير من علماء البلاغة والبيان على كتاب ابن المعتز فى البديع اعتمادا وثيقا كما كان شعره دراسات قيمة فى أبواب البـلاغة والبيان وألوان البديع ٠ وكثير من شـواهد البديع عند المتأخرين من المشتغلين بعلوم البلاغة هى من الشواهد التى أوردهـا ابن المعتز فى كتاب البديع ٠ والكتاب ينبىء عن ذوق وسـعة اطلاع وفطنة واقتدار وبراعة عرض وجودة اختيار وميل الى الدراسة التطبيقية الواسـعة التى تتيح مجالا رحبا للنظر والتروى وحسن التذوق وسـلامة الحكم وصواب الرأى ٠ ويقرر كارل بروكلمان أن كتاب البديع هو أول بحث منهجى فى الشـعر والبلاغة(١٠٦) ٠ ويجمـع الباحثون كذلك على أنه أول مؤلف فى البـديع وصنعة الشعر ويشـيدون به ويعدونه فتحـا جديدا(١٠٧) ٠

---

(١٠٥) انظر كتاب البديع لابن المعتز والدراسة الشاملة عن ابن المعتز للدكتور خفاجى ط : دار العهد الجديد ٠

(١٠٦) تاريخ الأدب العربى لكارا بروكلمان ترجمة عبـد الحليم النجار ص ٥٨ ٠

(١٠٧) العمدة جـ ١ ص ٢٣٥ ـ معاهد التنصيص جـ ١ ص ١٤٦ =

ويقول ابن المعتز : « وما جمع فنون البديع ولا سبقنى اليه أحد »(١٠٨) .

وقد نشط العلماء والأدباء لدراسة هذا الكتاب وأثيرت بحوث قيمة كان لها آثار بالغة ونتائج كبيرة وصار كتاب البديع بذلك مصدرا ممتازا من مصادر الدراسات البيانية بعد عصر ابن المعتز ... ولقد كان له فضل فى انتقال النقد الى طور جديد هو طور العناية بالصورة وتوجيهه الى دراسة الشكل بعد أن كان الجهد محصورا فى نقد المعانى والأفكار(١٠٩) .

ولم يقف العلماء عند حدود ما درسوه من بديع ابن المعتز بل انهم أخذوا يتوسعون ويحدثون له أبوابا ويخترعون ألقابا كما فعل قدامة فى كتابه «نقد الشعر» وأبو هلال العسكرى فى الصناعتين وابن رشيق فى العمدة وابن أبى الاصبع المصرى فى كتابه «تحرير التحبير»(١١٠) وابن منقذ فى كتابه « التفريع فى البديع » وصفى الدين الحلى فى بديعيته التى سماها « الكافية البديعية » فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم .

=

ـ أدب اللغة لمحمد دياب ج ١ ص ٤٥ ـ الزيات ص ٢٧٦ الصبغ البديعى لأحمد موسى ٩٢ ـ ١٠١ ، تاريخ البلاغة العربية للشعراوى ١٠٣ ـ ١٠٧ مخطوطات بمكتبة كلية اللغة .

(١٠٨) البديع ص ١٠٦ .

(١٠٩) دراسات فى نقد الأدب العربى لطبانة ص ١٧٧ .

« قضية اللفظ والمعنى فى النقـد العربى »

بين القـديم والحـديث

وقد أثيرت فى النقـد العربى قضية هامة تتعـلق باللفظ والمعنى ومدى أهمية كل منهما • وحول هذه القضية تعددت آراء النقاد العرب: فمنهم من نظر الى مقـومات العمل الأدبى فرجعهـا الى جانب المعنى وأغفل شـأن اللفظ واعتبر أن حسـن المعنى وجودته هو الأسـاس ولا يبالى برونق العبارة وجمال الصياغة ••• وهناك من ينزل الألفاظ فى الأهمية منزلة تلى منزلة المعنى فالألفاظ عندهم كالمعارض أو الثياب للجارية الحسناء التى تزداد حسنا فى بعض المعارض دون بعض وكم من معنى حسن قد شين بمعرضه الذى أبرز فيه وكم معرض حسن قد ابتذل على معنى قبيح ألبسه »(١١١) وهناك آخرون يرون أن الصياغة هى الأساس الذى يعتمد وهى المقوم الحق للأدب وكأنهم رأوا أن المعانى متداولة مطروقة وأنها لا تظهر لها قيمة فنية الا فى اطار من الصـياغة الجيدة والاسلوب الجمالى المعبر ففيه الصياغة والألفاظ عندهم فوق قيمة المعانى وفى ذلك يقول الجاحظ : « والمعانى مطروحة فى الطـريق يعرفها العجمى والعربى والبدوى والقروى والمدنى وانمـا الشأن فى اقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء وفى صحة الطبع وجودة السـبك فانما الشعر صـياغة وضرب من النسـج وجنس من التصوير »(١١٢) • ويقول صاحب الصناعتين « المعانى مشتركة بين العقلاء فربمـا وقع المعنى الجيـد للسـوقى والنبطى والزنجى وانما يتفاضل النـاس فى الألفـاظ ورصـفها وتأليفها ونظمها »(١١٣) أما

---

(١١٠) مخطوط بدار الكتب المصرية رقم (٤٦٥) بلاغة •

(١١١) عيار الشعر ص ٨ •

(١١٢) الحيوان جـ ٣ ص ١٣١ ، ١٣٢ •

(١١٣) الصناعتين ص ١٨٦ •

ابن خلدون فانه يرى أن صناعة الكلام نظما ونثر انما هى فى الألفاظ لا فى المعانى(١١٤) • والمعانى عنـد هؤلاء مادة الشعر والشعر فيهـا كالصورة ولا ينبغى الحكم على الشعر بمادته أى بمعناه وانما يحكـم عليه بصورته ، وذلك يقـول قدامة ، وابن خلدون يرى أن العبـرة بالألفاظ وأن المعانى تبع لها وهى أصل وكان الألفاظ عنده هى مقياس براعة الأديب ومن هنا برز الاهتمام بالصياغة وخصائصها فى الدراسات النقدية وأصبحت هى اساس •• وهكـذا عنى البلاغيون بحسن اللفظ وجودة السبك ورأى كثير من الأدباء والنقاد أن المجال الأكبر للتجديد فى الحلية اللفظية اعتقادا منهم بأن الأولين استغرقوا المعـانى أو أتوا على معظمها ومجالات الابداع والاغراب والتجديد عند المحدثين تتمثل فيما تركه القدماء وأهملوه ولم يعتدوا به(١١٥) •

ومن النقاد العرب من كانوا يسوون بين اللفظ والمعنى فخير الشعر عندهم ما حسن لفظه وجـاد معناه فاذا قصر اللفظ عن المعنى أو حلا اللفظ ولم يكن وراءه طائل كان الكلام معيبا(١١٦) • ومن رام معنى كريما فليلتمس له لفظا كريما فان حق المعنى الشريف اللفظ الشريف(١١٧) • وعلى أى حال فان من يعتـدون بجانب اللفظ من النقاد لا يمكنهم أن يغفلوا جانب المعنى وأهميته•••فالجاحظ الذى يعتد بجانب اللفظ ويعتد بجانب التصوير والصياغة يرى أن أهمية الألفاظ من حيث أدائها المعانى ويقرر ضرورة المشـاكلة بين الألفاظ والمعانى فيقول « ولكل ضرب من

---

(١١٤) المقدمة ص ٤٢٥ •

(١١٥) الوساطة ص ٢٠٨ •

(١١٦) الشعر والشعراء ص ٣ ، ٤ •

(١١٧) البيان والتبيين جـ ١ ص ١٣٤ •

الحديث ضرب من اللفظ ولكل نوع من المعانى نوع من الأسماء فالسخيف للسخيف والخفيف للخفيف والجزل للجزل والافصاح فى موضع الافصاح والكناية فى موضع الكناية والاسترسال فى موضع الاسترسال »(١١٨) والامام عبد القاهر الجرجانى عارض بقوة رأى من يقفون عند حدود المعنى ويغفلون شأن الصياغة فى تقويم الأعمال الأدبية ، كذلك لم يقنع الامام عبد القاهر بالوقوف عند حدود الألفاظ من حيث هى ألفاظ وانما من حيث هى وسائل لتكوين الصور الأدبية وتصوير المعانى المدلول عليها بالصياغة .. يقول عبد القاهر الجرجانى « واعلم أن الداء الدوى والذى أعيا أمره فى هذا الباب غلط من قدم الشعر بمعناه وأقل الاحتفال باللفظ وجعل لا يعطيه من المزية ان هو أعطى الا ما فضل من المعنى « ثم يقرر أن سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة وأن سبيل المعنى الذى يعبر عنه سبيل الشىء الذى يقع التصوير والصوغ فيه كالفضة والذهب يصاغ منهما خاتم أو سوار فكما أن محالا اذا أنت أردت النظر فى صوغ الخاتم وفى جودة العمل ورداءته أن تنظر الى الفضة الحاملة لتلك الصورة أو الذهب الذى وقع فيه العمل وتلك الصنعة كذلك محال اذا أردت أن تعرف مكان الفضل والمزية فى الكلام أن تنظر فى مجرد معناه(١١٩) كذلك فالألفاظ عنده لا جمال فيها الا بحيث اعتبار مكانها من النظم ومن ملاءمة المعانى جاراتها ولا جمال فى اللفظ من حيث هو صوت مسموع وحروف تتوالى فى النطق وانما يكون ذلك لما بين معانى الألفاظ من الاتساق العجيب »(١٢٠) ... اذن فالأهمية للألفاظ فى مواقعها من الجمل ولا أهمية لها فى ذاتها وانما تظهر أهمية الألفاظ

---

(١١٨) الحيوان جـ ٣ ص ٣٩ .

(١١٩) دلائل الاعجاز ص ١٣٦ : ص ١٣٨ ط : الفتوح .

(١٢٠) نفسه ص ٣١ .

فى ادآء المعـــانى ويتجلى ذلك فى تأليف الكلام وصياغته ٠٠ ومن هذا المنطلق نشأت نظرية النظم عند عبد القاهر ويعرفه عبد القـــاهر بأنه وضع الكلام الوضع الذى يقتضيه علم النحو وعلم المعانى من الوصل والفصـــل والتحريف والتنكير والتقديم والتـــأخير والحذف والاظهـــار والاضمار وكثـــير من المحسنات البيانية والبديعية التى تضيف الى المعنى الكثير ٠

ولعبد القـــاهر فى هذه القضية بحوث أصيلة جديرة بالاهتمـــام والتقدير ٠ وقد أثبتت الدراسات النقدية والجمالية الحديثـــة أصـــالة هذه الآراء التى نادى بها عبد القاهر وأكدت صحتها ودقتها وما تمتاز به من أعماق وأبعاد ٠

ففى مجال اللفظ والمعنى أو الشكل والمضمون رأينا باحثا كجورج سانتيانا يقرر فى كتابه « الاحساس بالجمال » أن التأثير الرئيسى للغة يتألف من المعنى أى ما تعبر عنه من أفكار الا أن التعبير مستحيل بدون العرض ولابد أن يكـون له شكل ما وهـــذا الشـــكل الذى نأخـــذه وسيلة للتعبير هو ذاته أحد العناصر التى يتألف منها تأثير اللغة(١٢١) ٠ ويرى أنه ليس من الســـهل رد جمال الشـــكل الى جمال العنـــاصر التى يتألف منها والا يحق للعامة أن يعتقدوا أن جميع المنازل المبنية بالرخام تكون متكافئة فى جمالها(١٢٢) ٠

---

(١٢١) الاحساس بالجمال ص ١٨٩ ٠
(١٢٢) نفسه ص ١٠٧ ٠

السرقات الشـــعرية

ونتيجة لاصطراع الرأى واحتدام الخصومة بين أنصـــار اللفظ وأنصار المعنى بين المؤيدين لمذهب واتجـــاه والمعارضين لهذا المذهب والاتجاه ... ظهر فى النقد العربى بحث خطير حول السرقات الشعرية وما يرتبط بها من نقل وقلب وتحوير .. يقول الجرجانى فى وساطته :

« السرقة داء قديم وعيب عتيق ومازال الشاعر يستعين بخـــاطر الآخر ويستمد من قريحته ويعتمد على معناه ولفظه وكأن أكثره ظاهرا ، ثم تسبب المحـــدثون الى الخفـــائه بالنقل والقلب وتغـــيير المنـــاهج والترتيب » ثم نراه يلتمس العذر لأهل عصره فى هذا الباب فيقول معللا « لأن من تقدمنا قد استغرق المعانى وسبق اليها وأتى على معظمها وانما نحصل على بقايا اما أن تكون قد تركت رغبة عنها أو استهانة بها أو لبعد مطلبها واعتياض مرامها وتعذر الوصول اليها ، ومتى أجهد أحدنا نفسه وأعمل فكره ، وأتعب خاطره وذهنه فى تحصيل معنى يظنه غريبا مبتدعا ونظم بيتـــا يحسبه فردا مخترعا ثم تصفح عنه الدواوين لم يخط أن يجد بعينه أو يجد له مثالا يغض من حسنه(١٢٣) . ويقول الجاحظ : « نظرنا فى الشعر القديم والحديث فوجدنا المعانى تقلب ويؤخذ بعضها من بعض »(١٢٤) ويقول أيضـــا « ولا يعلم فى الأرض شاعر متقـــدم فى تشـــبيه مصيب تام أو فى معنى غريب عجيب أو معنى شريف كريم أو فى بديع مخترع الا وكل فن جاء من الشعر من بعده ان هو لم يقـــدر على لفظه فيسرقه أو يدعيه بأسره فانه لا يدع أن يستعين بالمعنى ويجعل نفسه شريكا فيه »(١٢٥) .

---

(١٢٣) الصناعتين ص ١٨٦ .

(١٢٤) معاهد التنصيص ج ٢ ص ١٣٢ .

(١٢٥) الحيوان ج ٣ ص ٩٦ .

ويرى الشريف المرتضى أنه لا ينبغى لمنصف أن يقـول هذا البيت مسروق المعنى من فلان لأنه قاطع على ما لا يأمن هذا أن يكون كذبا فربما تواردا فيه من غير قصد ، والأولى أن يقول هذا نظيره وشبيهه »(١٢٦) فأما أخذه وسرقه فما لا سبيل الى العلم به لأنهما قد يتواردان عـلى ما ذكرناه ولم يسـمع أحدهما بكلام الآخر وربما سمعه فنسيه وذهب عنه ثم اتفق له مثله من غير قصد (١٢٧) واتسعت الدراسـات وتعددت حـول السرقات الشعرية وفتحت مجـالا فسيحا للدراسات النقـدية والأدبيةوالبلاغية وكانت مجالا خصبا ازدهرت فيه آراء قيمة وتبلورت اتجاهات أصيلة كل الأصالةعميقة غاية العمق ، كما يظهر ذلك بوضوح فى « الصناعتين » لأبى هلال العسكرى والوساطة للجرجانى والموازنة للآمدى وسرقات أبى نواس المهلهل بن يمـوت وسرقات أبى تمام لابن طاهر وابن عمار فى كتابين .

وقد ألف ابن المعتز رسالة فى مساوىء أبى تمام يشن عليه فيهـا هجوما عنيفا ويعيب عليه بعده فى الكثير واغراقه فى التصوير(١٢٨) . وقد كان لهذه الرسـالة أثرها فى احتدام الحملة على أبى تمام وتركيز الهجوم على مدرسته .

قضية الوحدة الفنية فى النقد العربى

وقد كان لبعض الشعراء شهرة بجودة الابتداء وفخـامته وحسن التخلص من الافتتاحية والمطلع الى موضوع قصيدته ومراعاة الارتباط

---

(١٢٦) طيف الخيال للشريف المرتضى ص ١٤١ .
(١٢٧) الشهاب فى الشيب والشباب للشريف المرتضى ص ٧ .
(١٢٨) الموشح ص ٣٠٧ .

والتلاحم بين أجزاء القصيدة وتسلسلها فكريا وائتلافها شعوريا في اطار من الألفاظ المحكمة والصياغة البارعة وهذا يعنى بوضوح تحقق « الوحدة الفنية للقصيدة » تلك الوحدة التى عبر عنها الحاتمى بقوله : « مثل القصيدة مثل الانسان فى اتصال بعض أعضائه ببعض فمتى انفصل واحد عن الآخر وباينه فى صحة التركيب غادر الجسم ذا عاهة تتخون محاسنه وتعفى معالمه ، وقد وجدت حذاق المتقدمين وأرباب الصناعة من المحدثين يحترسون فى مثل هذا الحال احتراسا يجنبهم شوائب النقصان ويقف بهم على محجة الاحسان حتى يقع الاتصال ويؤمن الانفصال وتأتى القصيدة فى تناسب صدورها وأعجازها وانتظام نسيبها بمديحها كالرسالة البليغة والخطبة الموجزة لا ينفصل جزء منها عن جزء وهذا مذهب اختص به المحدثون لتوقد خواطرهم ولطف أفكارهم واعتمادهم البديع وأفانينه فى أشعارهم وكأنه مذهب سهلوا حزنه ونهجوا رسمه »(١٢٩) .

والحاتمى بهذا الرأى يثير قضية هامة من القضايا النقدية تتعلق بالوحدة العضوية كمقوم من المقومات الفنية للقصيدة الشعرية ويثبت بطلان الادعاء بعدم تحققها فى الشعر الحديث وهذا ادعاء مرفوض وحكم مردود .

وقد لحظ ابن رشيق نحو ذلك فى البيت من الشعر فى اطار الأبنية المتصلة اذ يقول : « والبيت من الشعر كالبيت من الأبنية قراره الطبع وسمكه الرؤية ودعائمه العلم وبابه الدربة وساكنه المعنى ولا خير فى بيت غير مسكون . وصارت الأعاريض والقوافى كالموازين والأمثلة للابنية أو كالأواخى والأوتاد للأخبية ... »(١٣٠) .

---

(١٢٩) زهر الآداب جـ ٣ ص ٦١٥ .

(١٣٠) العمدة جـ ١ ص ١٠١ .

ويقول ابن طباطبا العلوى : « وينبغى للشاعر أن يتـــأمل تأليف شعره وتنسيق أبياته ويقف على حسن تجاورها أو قبحه فيلائم بينهـــا لتنتظم له معانيها ويتصل كلامه فيها ولا يجعل بين ما قد ابتـــدأ وصفه وبين تمامه فصلا من حشو ليس من جنس ما هو فيه فينسى الســـامع المعنى الذى يسوق القول اليه ، كما أنه يحترز من ذلك فى كل بيت ، فلا يباعد كلمة عن أختها ، ولا يحجز بينها وبين تمامهـــا بحشو يشينها ، ويتفقد كل مصراع هل يشـــاكل ما قبله ؟ فربما اتفق الشاعر بيتان يضع مصراع كل واحد منهما فى موضـــع الآخر فلا يتنبه على ذلك الا من دق نظره ، ولطف فهمه .. »(١٣١) .

ويقول ابن طباطبا أيضا : « وأحسن الشعر ما ينتظم القـــول فيه انتظاما ينسق به أوله مع آخره على ما ينسقه قائله فان قدم بيت على بيت دخله الخلل كما يدخل الرسائل والخطب اذا نقض تأليفهـــا فان الشعر اذا أسس تأسيس فصول الرسائل القائمة بأنفسها ، وكلمـــات الحكمة المستقلة بذاتها ، والأمثال السائرة المرســـومة باختصارها ، لم يحسن نظمه ، بل يجب أن تكون القصيدة كلهـــا ككلمة واحدة فى اشتباه أولها بآخرها نسجا وحسنا وفصاحة وجزالة ألفاظ ودقة معان وصواب تأليف ، ويكون خروج الشاعر من كل معنى يصنعه الى غيره من المعانى خروجا لطيفا...حتى تخرج القصيدة كأنها مفرغة افراغا...لا تناقض فى معانيها ولا وهن فى مبانيها ولا تكلف فى نسجها .. »(١٣٢) .

وقد عنى الأدباء والنقاد بأمر البدء وصلته بالغـــرض ثم الخاتمة فى الشعر والنثر كما عنوا بالعلاقة بين معانى الأبيـــات بعضها مع بعض

---

(١٣١) عيار الشعر ١٢٤ .

(١٣٢) نفسه ص ١٢٦ وما بعدها .

وعابوا البيت من الشعر اذا كان مقرونا بغير جاره ومضموما الى غير لفقه وقد عبر عن ذلك بعض الشعراء اذ قال لشاعر آخر : أنا أشعر منك ، قال : وبم ذلك ؟ قال : لأنى أقول البيت وأخاه وتقول البيت وابن عمه »(١٣٣) .

وأود أن أشير فى هذا المجال الى أن هذه الأقوال كانت صادرة عن وعى تام وادراك عميق للقصيدة الغنائية ومقوماتها الفكرية والوجدانية والتعبيرية وانطلاقاتها الايحائية والتصويرية ، وأن هذا الادراك لجوهر القصيدة الغنائية قد جعلهم يفهمون الوحدة الفنية على أنها وحدة اطار وائتلاف مشعور واحساس وهذا الاطار أعم وأشمل من أن يكون وحدة غرض أو خصوصية موضوع وانما هو ائتلاف خواطر وانكار تلاقى معان وصور وامتزاج شعور واحساس واتساق نغم وايقاع .

وهذه المعانى هى بعينها التى عبر عنها نقادنا المعاصرون عن الوحدة العضوية ــ كما يسمونها ــ فالعقاد يقرر أن القصيدة « ينبغى أن تكون عملا فنيا تاما يكمل فيها تصوير خاطر أو خواطر متجانسة كما يكمل التمثال بأعضائه والصورة بأجزائها واللحن الموسيقى بأنغامه بحيث اذا اختلف الوضع أو تغيرت النسبة أخل ذلك بوحدة الصنعة وأفسدها فالقصيدة الشعرية كالجسم الحى يقوم كل قسم منها مقام جهاز من أجهزته »(١٣٤) .

وخليل مطران يشيد بشعر نه يزعم أنه يتبع فيه منهجا جديدا ليس لمثله شيء من شعر العرب فيقول : « وهذا شعر ليس ناظمه بعبده ، ولا

---

(١٣٣) الشعر والشعراء ص ١٢ والبيان والتبيين جـ ١ ص ٢٠٥ وما بعدها .

(١٣٤) الديوان فى الأدب والنقد للعقاد والمازنى ٣/١٣٠ ط دار الشعب وديوان العقاد ٤/٤٦ .

تحمله ضرورات الوزن أو القافية على غير قصده ، يقـــال فيه المعنى الصحيح فى اللفظ الفصيح ، ولا ينظر قائله الى جمال البيت المفرد ولو أنكر جاره ، وشاتم أخاه ، ودابر المطلع ، وقاطع المقطع ، وخالف الختام ، بل ينظر الى جمال البيت فى ذاته وفى موضعه ، والى جمـــلة القصيدة فى تركيبها وفى ترتيبها ، وفى تناسق معانيها وتوافقها ، مع ندور التصـــور وغرابة الموضوع ، ومطابقة كل ذلك للحقيقـــة ، وشفوفه عن الشعور الحر ، وتحرى دقة الوصف واستيفائه فيه على قدر »(١٣٥) .

وعبد الرحمن شكرى يقرر أن قيمة البيت فى الصلة التى بين معناه وبين موضوع القصيدة لأن البيت جزء مكمل ، ولا يصح أن يكون البيت شاذا خارجا عن مكانه من القصيدة ، وأنه ينبغى أن ننظـــر الى القصيدة من حيث هى شىء فرد كامل ، لا من حيث هى أبيات مستقلة ، وأن مثل الشـــاعر الذى لا يعنى باعطاء وحدة القصيدة حقها مثل النقاش الذى يجعل نصيب كل أجزاء الصورة التى ينقشها من الضـــوء نصيبا واحدا وكما أنه ينبغى للنقاش أن يميز بين مقادير امتزاج النور والظـــلام فى نقشه كذلك ينبغى للشاعر أن يمـــيز بين جوانب موضوع القصيدة وما يستلزمه كل جانب من الخيال والتفكير .. »(١٣٦) .

وابراهيم عبد القـــادر المازنى يدعو كل شاعر الى أن يلائم بين أطراف كلامه ويساوق بين أغراضه ويبنى بعضا منها على بعض ويجعل هذا بسبب من ذاك »(١٣٧) ، ويرى أن الصدق فى الأداء عن النفس هو جماع رأيه فى الفن جميعه »(١٣٨) ، ومن خلال هذه الأمثلة والشواهد

---

(١٣٥) مقدمة الديوان جـ ١ ص ٨ وما بعدها ط دار الهلال ١٩٤٨

(١٣٦) مقدمة الجزء الخامس من ديوانه بعنوان « فى الشعر ومذاهبه»

(١٣٧) الشعر غاياته ووسائله للمازنى ص ٢٦ ط البسفور ١٩١٥

(١٣٨) أدب المازنى لنعمات فؤاد ص ٦٥ ط دار الهنا ١٩٥٤ .

من أقوال نقـــاد العصر الحديث يثبت أنهم مســبقون بآراء الصفوة الممتازة من النقاد العرب القدامى وأن كثيرا مما قالوه بعد ذلك كان خلطا للوحدة فى القصيدة الغنائية بالوحدة الفنية فى القصة المسرحية والأمـر لاشك مختلف غاية الاختلاف بين الشعر الغنـائى والشـعر القصصى والمسرحى ، ولم يدرك سوى قلة من هؤلاء النقاد أصالة الوحدة الفنية فى الشعر العربى الجاهلى فأشادوا بها وأعلنوها على رءوس الأشـهاد كلمة حق جريئة لا تخشى ولا تهاب وأثبتوا بالدليل والبرهان عنـاصر الأصالة والابداع فى الشعر الجاهلى ، والشـعر الاسـلامى والأموى والعباسى ، وقدموا لأدب التراث كل اجلال واعتزاز وتقدير بالدراسـة الجادة الواعية والبحث الممتد العميق (١٣٩) .

خاتمـــــــة

هكذا تجلى بكل وضوح أن هذه الاتجاهات النقدية القديمة كأن لها ما يدعمهـــا ويؤيدها فى النقد الحديث والأسس الجمالية المعتمـــدة فى الأدب المعاصر .. فالدقة والخفـاء والرمز والايحـــاء والتشخيص والتجسيم وتراسل الحواس وتغطية منـاطق الشعور وامتزاج الأفكار والمعانى بالمشاعر والأحاسيس وخطورة الأسلوب المسـطح وأسلوب الذاكرة والتعابير المحفوظة ... تلك كلها دراســات نقدية قيمة تكشف بوضوح عن أصالة نقـدنا العربى وتؤكد أن أبواب الرمزية والتـأملات النفسية والفلسفية والتصوير الايحائى والدلالات الشعورية لم تنبت شيطانيا فى أرض جدبة وانما ازدهرت فى أرض طيبة وبفضـــل بذور مباركة قوية فعالة قد أتت أكلها فيما توالى من عصور ...

---

(١٣٩) انظر على سبيل المثال : قضايا النقد الأدبى والبلاغة لمحمد زكى العشماوى من ١٤٦ الى ٢١٨ .

وقطوف من ثمار الأدب لعبد السلام سرحان اسماعيل من ص ١٢٢ الى ٢١٠ .

وكان من أثر هذا الروح والازدهار أن ازدادت النظرة الى الأدب أعمـــاقا وامتدت آفاقا فأصبحت علوم الأدب تشمل علوم اللغة والنحو والصرف والاشتقاق والمعانى والبيان والبديع والعـــروض والقوافى وأخبار العرب وأنسابهم والتاريخ وعلم الجدل والاستدلال وغيرها مما يساعد على تقويم اللسان وتصحيح الملكات وتهذيب الفطر الأدبية ورواج البحوث النقدية وازدهار الدراسات البلاغية والموازنات الأدبية والآراء القيمة فى نقد الشعر والموازنة بين الشعراء ومن أشهر من كتب فى هذا النهج ابن المدبر فى « الرسالة العذراء » وقدامة فى « نقـد الشـعر » و « نقد النثر » والآمدى فى « الموازنة » وأبو هلال فى «الصناعتين» والجرجانى فى « الوساطة » وابن رشيق فى « العمدة » والخفـاجى فى « سر الفصـاحة » وعبد القاهر فى « أسرار البـــلاغة » و « دلائل الاعجاز » وابن الأثير فى « المثل السائر » .

وبهذا العمق وعلى مستوى هذا الامتداد أخذت الدراسات الأدبية والنقدية سمتها الابداعى المتطور فى العصر الحديث على أســـاس من التمـــايز والتخصيص والتركيز والتحليـــل والاستيعاب فى مختلف الاتجاهات وعلى شتى المستويات : فى المذاهب الفنية والاتجاهات الأدبية والدراسات الجمالية والأسس النفسية للابداع الفنى ونقـد الشـعر والتحليل الأدبى والموازنة الدقيقة بين الشعر وتناول أهم القضـــايا الأدبية والنقدية من وجهة نظر عصرية متقدمة ...

« ولله الحمد أولا وآخرا وهو حسبى ونعم الوكيل »

دكتور/عبد الله حسين على سليمان

المصادر والمراجع

١ ــ الآداب العربيــة فى العصر العبــاسى الأول لمحمد عبــد المنعم خفاجى ط دار الطباعة المحمدية •

٢ ــ الاحساس بالجمال لجورج سانتيانا ترجمة محمد مصطفى بدوى نشر الأنجلو المصرية ١٩٦٠ •

٣ ــ احياء علوم الدين للغزالى ط الحلبى ١٣٤٦هـ •

٤ ــ أخبــار أبى تمــام للصــولى ط لجنــة التــأليف والترجمــة والنشر ١٩٣٧ •

٥ ــ الأدب العــربى فى ظلال الأمــويين والعباسيين لحسن جــاد وخفاجى والمسلوت ط دار التأليف ١٩٥٢ •

٦ ــ الأسس الجمالية فى النقد العربى لعز الدين اسماعيل ط الاعتماد نشر دار الفكر العربى ١٩٥٥ •

٧ ــ أصول النقد الأدبى لأحمد الشايب ط السعادة رابعة ١٩٥٣ •

٨ ــ الأغانى لأبى الفــرج الأصفهانى ط ســاسى ــ دار الكتب / بيروت ــ الشعب •

٩ ــ الامتاع والمؤانســة لأبى حيان التوحيــدى ط لجنة التــأليف والترجمة والنشر ١٩٣٩ •

١٠ ــ الايضاح فى شرح المقامات لناصر بن عبد السيد المصرى مخطوط بدار الكتب المصرية ٢٤٩ أدب •

١١ ــ ابن الرومى للعقاد ط حجازى بالقاهرة ١٩٣٨م •

١٢ ــ ابن المعتز لخفاجى • ط دار العهد الجديد •

١٣ ــ البيان والتبيين للجاحظ ط التجارية الكبرى ١٩٢٩ والفتوح ١٣٣٢هـ والسندوبى ١٩٤٧ ولجنة التأليف ١٩٤١ .

١٤ ــ تاريخ الأدب العربى لكارل بروكلمان ترجمة عبد الحليم النجار ط دار المعارف .

١٥ ــ تاريخ البلاغة العربية للشعراوى مخطوط بكلية اللغة العربية .

١٦ ــ تاريخ النقد الأدبى عند العرب لطه ابراهيم ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٧ .

١٧ ــ اتجاهات الشعر العربى فى القرن الثانى الهجرى لمحمد مصطفى هدارة ط دار المعارف ١٩٧٠ .

١٨ ــ جمع الجواهر فى الملح والنوادر لأبى اسحاق ابراهيم المصرى القيروانى ط الرحمانية .

١٩ ــ حب ابن أبى ربيعة ط ثالثة ١٩٢٨ لزكى مبارك .

٢٠ ــ حماسة الهشيم للمازنى . ط العصرية الرابعة ١٩٥٤ .

٢١ ــ الحياة الأدبية فى العصر العباسى لخفاجى والعهد الجديد ١٩٥٤ .

٢٢ ــ الحيوان للجاحظ ط الحلبى ١٩٣٨ .

٢٣ ــ دراسات فى الشعر المعاصر لشوقى ضيف ط دار الهنا نشر الخانجى ١٩٥٣ .

٢٤ ــ دراسات فى نقد الأدب العربى لبدوى طبانة ط مخيمر ١٩٥٤ .

٢٥ ــ دراسات فى النقد العربى الحديث ومذاهبه لخفاجى ط دار الطباعة المحمدية .

٢٦ ــ دلائل الاعجاز لعبد القاهر الجرجانى ط الفتوح ١٣٣١هـ •

٢٧ ــ رسالة الغفران لأبى العلاء المعرى تحقيق كامل كيلانى ط التجارية الكبرى ١٩٢٥ •

٢٨ ــ رسالة فى البلاغة والخطابة لابن سينا مخطوط مصور بجامعة القاهرة ٢٦٣٣٥ •

٢٩ ــ زهر الآداب للحصرى ط السعادة ثالثة ١٩٥٣ •

٣٠ ــ الشعر والشعراء لابن قتيبة ط الفتوح الأدبية تحقيق أحمد محمد شاكر ١٣٦٦هـ •

٣١ ــ الشهاب فى الشيب والشباب للشريف المرتضى ط الجوائب بالأستانة ١٣٠٢هـ •

٣٢ ــ الصبغ البديعى لأحمد موسى رسالة دكتوراه مخطوط بمكتبة كلية اللغة العربية بالقاهرة •

٣٣ ــ الصناعتين لأبى هلال العسكرى ط صبيح ــ الخانجى •

٣٤ ــ الطبع والصنعة فى الشعر لمحمد الههياوى ط حجازى ١٣٥٨هـ •

٣٥ ــ طيف الخيال للشريف المرتضى تحقيق حسن كامل الصيرفى دار احياء المكتبة العربية ١٩٦٢ •

٣٦ ــ العمدة لابن رشيق ط حجازى ١٩٣٤ •

٣٧ ــ عيار الشعر لابن طباطبا العلوى ط شركة فن الطباعة •

٣٨ ــ فن الشعر لهوراس ترجمة لويس عوض •

٣٩ ــ الفهرست لابن النديم ط لايبسك ١٨٧١م القاهرة ١٣٤٨هـ •

٤٠ ــ فى الأدب والنقد لمحمد مندور ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٩ •

٤١ ــ قدامة بن جعفر والنقد الأدبى لبدوى طبانة ط مخيمر ١٩٥٤ .

٤٢ ــ قواعد النقد الأدبى ــ لاسل آبر كرومبى ترجمة محمد عوض ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٦ .

٤٤ ــ المجمل فلسفة الفن لبندتوكروتشة ترجمة سامى الدروبى .

٤٥ ــ محاضرات الأدباء للسيوطى ط المويلحى .

٤٦ ــ المدخل الى النقد الأدبى لمحمد غنيمى هلال ط الأنجلو المصرية ١٩٥٨ .

٤٧ ــ مذاهب الأدب لخفاجى ط المنيرية ١٩٥٣ .

٤٨ ــ مروج الذهب للمسعودى ط أوربا ــ بولاق ١٢٨٣هـ .

٤٩ ــ مطالعات فى الكتب والحياة للعقاد ط مصر ١٩٢٤ .

٥٠ ــ معاهد التنصيص للعباسى .

٥١ ــ المقابسات لأبى حيان التوحيدى تحقيق السندوبى نشر المكتبة التجارية ١٩٣٩ .

٥٢ ــ مقدمة ابن خلدون ط النهضة المصرية بولاق .

٥٣ ــ مقدمة لدراسة بلاغة العرب لأحمد ضيف .

٥٤ ــ الموازنة للآمدى ط السعادة ١٣٧٠هـ طبعة ثانية ١٩٥٤ .

٥٥ ــ موسيقى الشعر لابراهيم أنيس ط دار الفكر ١٩٥٢ .

٥٦ ــ الموشح للمرزبانى ط السلفية ١٣٤٣هـ .

٥٧ ــ النقد المنهجى عند العرب لمحمد مندور ط نهضة مصر ١٩٤٨ .

٥٨ ــ الوساطة بين المتنبى وخصومه للقاضى عبد العزيز الجرجانى ط صبيح .